مجلة جامعة الملك سعود، م٨، الآداب (٢)، ص ص ٤٠٧ - ٤٤٧ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

دراسة تحليلية لعينات من فخار موقع «جرش،» جنوب غرب المملكة العربية السعودية

عبدالكريم بن عبدالله سحيم الغامدي
أستاذ مساعد، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، المملكة العربية السعودية

(ورد للنشر بتاريخ ١٤١٥/٣/٢٦هـ، وقبل للنشر بتاريخ ١٤١٦/١/٢٨هـ)

ملخص البحث. تعتمد الدراسات الآثارية على دراسة المخلفات المادية التي استخدمها الإنسان منذ فجر حياته، وهي الوسيلة المثلى لتأريخ المجتمعات البشرية في غياب سجلات موثقة بالكتابة. وتهدف الدراسات الآثارية إلى تفسير الظواهر الحضارية، سواء في تقدمها وازدهارها أو تأخرها وانحطاطها، وتفضي إلى تقويم اعوجاج مسارات التاريخ المعتمدة على الروايات الشفهية. ودراسة الفخار تعد بمثابة حجر الزاوية في دراسة الحضارات القديمة وتأريخ إنسانها.

وهذا البحث عبارة عن معالجة علمية لعينات من فخار موقع «جرش» بمنطقة عسير، جنوب غرب المملكة العربية السعودية، في محاولة لتأريخ الموقع في عصوره السابقة للإسلام، من خلال دراسة خصائصه ومقارنته بفخار «قرية» الفاو الذي ظهرت بواكير نتائج دراسته من قبل الدراسات الميدانية التي يجريها قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب بجامعة الملك سعود ومسوحات الإدارة العامة للآثار والمتاحف بوزارة المعارف (المملكة العربية السعودية).

الموقع

تقع جُرَش في منطقة عسير على بعد ٢٥ كيلاً جنوب مدينة خميس مشيط، وترتفع عن البحر الأحمر ١٩٥٢م، وهي على خط طول ٤٢° ٥٥َ ودائرة عرض ١٨° ٥َ.

وترجع أهمية جرش لكونها تقع على الطريق التجاري الذي يربط ممالك جنوب الجزيرة العربية بشمالها. ولموقعها الجغرافي أهمية كبرى بالنسبة لبقية المستوطنات والمراكز الحضارية في هذا الجزء من الجزيرة العربية، إذ يخدم مركزها التجاري منطقة واسعة، تمتد من نجران جنوبًا إلى أقاصي حدود منطقة عسير شمالاً، ومن تثليث شرقًا حتى سواحل البحر الأحمر غربًا (انظر شكل رقم١). إذ لا تذكر المصادر القديمة وجود أي مركز تجاري في هذه المنطقة يضاهي جرش، مما يؤكد أنها كانت المركز الرئيس الذي تنطلق منه المعاملات التجارية إلى بقية الأسواق الأسبوعية المحلية خلال عصر الممالك العربية.

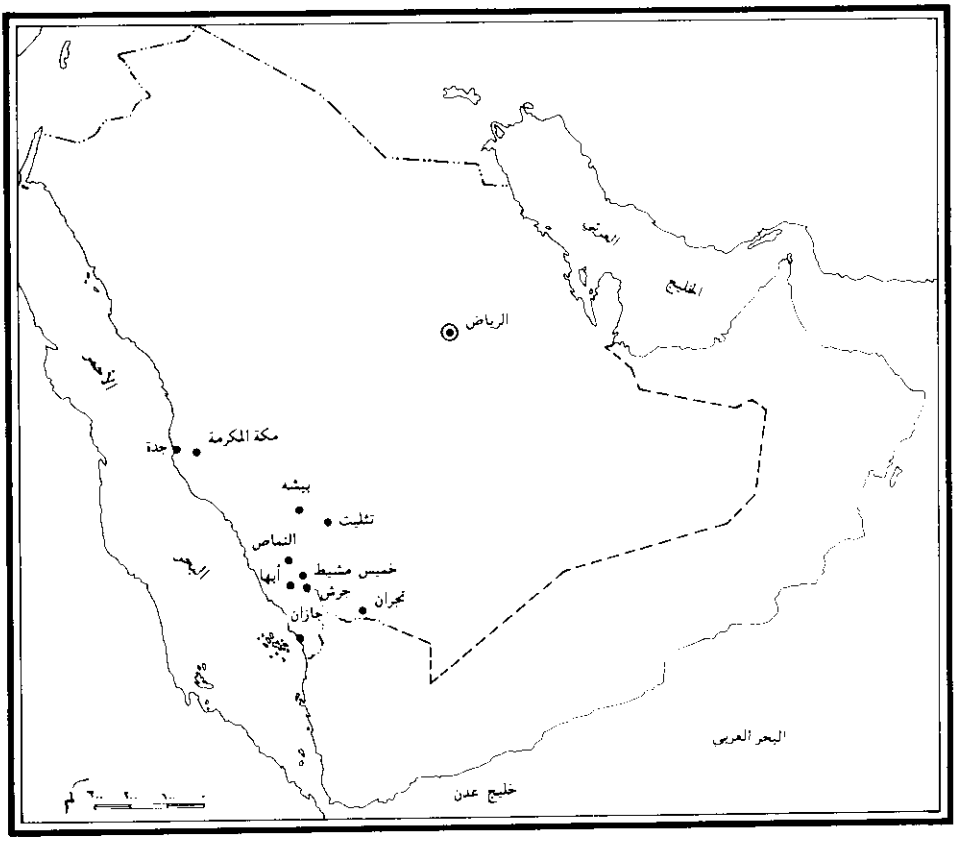

شكل رقم ١. خارطة للموقع.

جُرَش في اللغة

ورد في البكـري[١] أن «جُـرَش» بضم أولـه وفتح ثانيه، وبالشين المعجمة موضع معروف باليمن، ويضيف أنها من مخاليف اليمن من جهة مكة، وأنها مدينة عظيمة وولاية واسعة، وهي كورة نجد العليا.

وفي تعليل اسمها يضيف الحموي أن بعض أهل السير ذكر أن تبعًا أسعد بن أبي كرب خرج من اليمن غازيًا حتى إذا كان بجرش، وهي إذ ذاك خربة ومعد حواليها، فخلف بها جمعًا ممن كان صحبه رأى فيهم ضعفًا، وقال أجرشوا هاهنا أي البثوا، ولكنه يستدرك أنه لم يجد بين اللغويين من قال إن الجرش يعني المقام. وفي رواية أخرى مصدرها كتاب «أنساب البلدان» لابن الكلبي عن ابن المنذر قال: «جرش قبائل من أفناء الناس تجرشوا، وكان الذي جرشهم يقال له زيد بن أسلم، خرج بثور له عليه حمل شعير في يوم شديد الحر فشرد الثور، فطلبه فاشتد تعبه، فحلف لإن ظفر به ليذبحنه ثم ليجرشن الشعير وليدعون على لحمه، فأدركه بذات القصص عند قلعة جراش، وكل من أكل معه يومئذ كان جرشيًا.[٢]

وورد في *لسان العرب* لابن منظور أن الجرش يعني حك الشيء الخشن بمثله ودلكه كما تجرش الأفعى أنيابهـا، وقيل هو قشرة، جرشـه يجرشـه ويجـرشه جرشًا، فهو مجروش وجـريش: جراشـة الشيء ما سقط منـه جريشـا إذا أخذ ما دق منه، والملح الجريش: المجروش كأنه قد حك بعضه بعضًا فتفتت.

والجريش: دقيق فيه غلظ يصلح للخبيص المرمل. وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «لو رأيت الوعول تجرش ما بين لابتيها ما هيجتها يعني المدينة، والجرش صوت يحصل من أكل الشيء الخشن، أراد لو رأيتها ترعى ما تعرضت لها.[٣]

---

(١) أبو عبيد عبدالله بن عبدالعزيز البكري، معجم *ما استعجم*، تحقيق مصطفى السقا (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ)، ص٣٧٦.

(٢) شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت الحموي، معجم *البلدان* (بيروت: دار صادر، ١٤٠٤هـ)، جـ٢، ص١٢٧.

(٣) أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، *لسان العرب* (بيروت: دار صادر، د.ت.)، جـ٦، ص٢٧٢.

أهميـــة جُرَش

لاشك أن الموقع الجغرافي الذي تمتعت به جرش قد هيأ لها مكانة استراتيجية، سواء من الناحية الاقتصادية أو السياسية، مما جعلها تصنف ضمن المراكز الحضارية ذات الأهمية الكبرى، لاسيما خلال الفترة الممتدة من القرنين الثاني والأول قبل الميلاد إلى القرن السادس الميلادي، وهي الفترة التي تضاءل فيها نشاط العرب التجاري عبر البحر الأحمر والخليج العـربي واتجه إلى الطرق البرية، وهي الخطوة الأولى التي أدت بالتالي إلى احتكار قريش لتجارة الجزيرة العربية ما بين جنوبها وشمالها فيما عرف برحلة الشتاء والصيف.

وتعرف جرش خلال هذه الفترة بأنها من مخاليف اليمن من جهة مكة وأنها مدينة عظيمة وولاية واسعة، وهي كورة (أي مدينة أو مخلاف) نجد العليا. وهذا التعريف يشير إلى أن جرش لم تكن مدينة فحسب بل كانت مقاطعة كبيرة تضم تحت هذا الاسم أماكن أخرى، وربما كانت أشبه بمخلاف متميز شأنها في ذلك شأن نجران، يرجح هذا الرأي ما هو معـروف لدى المهتمـين بدراسات جنوب الجزيرة العربية، لاسيما الجزء الممتد ما بين نجران جنوبًا ومدينة بيشة شمالاً، وهي المنطقة المعروفة حديثًا بمقاطعة عسير. وهي عند الهمداني — وهو من أوثق من كتب عن الجزيرة العربية — كورة نجد العيا، وهي من ديار بكر ويسكنها ويترأس فيها العواسج من أشراف حمير، وهو من ولد يريم ذي مقار القيل. وجرش في قاع ولها أشراف غربية بعيدة منها تنحدر مياهها في مسيل يمر في شرقيها بينها وبين حمومة ناحية تسمى الأكمة السوداء — حمومة وحمة وكولة — ثم يلتقي بهذا المسيل أودية ديار عنـز حتى تصب في بيشة بعطان، فجرش رأس وادي بيشة ويصالي قصبة جرش أوطان حزيمة ثم يُواطِن حزيمة من شاميها عسير قبائل من عَنَزْ.(٤) ولسنا هنا بصدد تتبع مساحة مدينـة جرش الجغـرافية أثنـاء فترة ازدهـارهـا، ولكن يجدر بنا أن نذكر بعضًا من مراكز الاسـتيطان التي كانت حياتهـا الاقتصـادية والاجتـماعية بل وحتى السياسية — رغم الصراعات القبلية — تدين بحيويتها إلى جرش. ومن تلك المراكز، والتي ولحسن الحظ، مازالت تحمل مسمياتها إلى وقتنا الحاضر: أبها والدارة والفتيحا واللصبة والملحة وطبب وأتانه

---

(٤) الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني، *صفة جزيرة العرب*، تحقيق محمد علي الأكوع (بيروت: دار الآداب، ١٤٠٣هـ)، ص ص٢٢٩، ٢٣٠.

وعبل والمغوث وجرشه والحدبة، ومنها أيضًا تندحة والعيبا وادي طلعان القرعا، ومنها كذلك رفيدة وتمنية، وتمتد شمالاً حتى تنومة وسراة غامد وسراة دوس، فإلى فهم وعدوان. وباتجاه نجد تشمل بيشة وترج وتبالة، وهي الأماكن التي أطلق عليها الهمداني «أحواز جرش،»[٥] وتشتهر منذ القدم بزراعة الحبوب بمختلف أنواعها «البر، الشعير، الذرة» وتنتج التمور في نجودها الشرقية لاسيما بيشة. ولخصوبة تربتها وتجددها سنويًا اشتهرت محاصيلها الزراعية بمكانة راقية لاسيما الفواكه، ومنها نوع من العنب يقال له جرشي أبيض إلى الخضرة رقيق الحبة وهو أسرع العنب إدراكًا، وزعم أبو حنيفة أن عناقيده طوال وحبه متفرق. . وزعموا أن العنقود منه يكون ذراعًا.[٦]

وتعتمد الزراعة على الأمطار، لاسيما الأمطار الموسمية في فصل الصيف؛ أما الفترات غير المطيرة فيعتمد أهل جرش على الآبار في سقيا مزارعهم، قال بشر بن خازم:

تحدر ماء البئر عن جرشية على جربة تعلو الدبار غروبها

وقيل هنا: دلو منسوبة لجرش.[٧]

وفي جرش بمفهومها الجغرافي الواسع تمارس حرفة الرعي وتربية المواشي ومنها الأغنام والماعز، والأبقار وقلة من الإبل في الأماكن التي تتلاءم مع طبيعتها، لاسيما في تهامتها ونجودها إذ أن المناطق الجبلية لا تكون بيئة مناسبة لرعي الإبل.

وتستخدم الثيران والجمال في سقي المزارع من الآبار كما سبق وتقدم ذكره؛ أما وسائل المواصلات وحمل المحاصيل ونقل التجارة، فتعتمد على الحمير والجمال والبغال وهي متوافرة بما يرضي الحاجة منذ أقدم العصور.

وفي مجتمع تسوده حياة الاستقرار والتنوع الاقتصادي لابد من أن تنشأ ظاهرة التخصص أو الاحتراف المهني أو ما يسمى في علم الإنسان anthropology professional occupation. ولعل محدودية الأراضي الصالحة للزراعة في جرش وما يحيط بها أدى عنوة إلى الإسراع في نشوء نظام الاحتراف المهني، فالمزارع المحترف لابد له من اختصاصيين مهرة

---

(٥) الهمداني، *صفة*، ص٢٣١.

(٦) الهمداني، *صفة*، ص٢٣١.

(٧) ابن منظور، *لسان العرب*، جـ٦، ص٢٧٢.

لتلبية احتياجاته المهنية مثل النجارة، والحدادة، والخرازه، والدباغة، وهو في حاجة إلى بناء حاذق وإلى عامل ماهر، وهؤلاء يقايضون المزارع بحرفهم في سبيل تأمين معيشتهم من المنتجات الزراعية، وهي عادة ربما بقيت في تلك المنطقة إلى وقت قريب.

تحدثنا المصادر أن جرش قد اشتهرت بأدمها، فيقال أديم جرشي،(٨) والأديم يطلق على سائر الجلود، وقيل لا يكون أديمًا إلا بعد دباغته.(٩) ولذا فقد كان لدباغة الجلود سوق جيدة ربما لتوافر المواد الأولية التي تدخل في عملية الدباغة. أما الحدادة وما يتفرع عنها من صناعات، فتعتمد في المقام الأول على توافر مادة خام الحديد، ولا تمدنا المصادر المتاحة بمعلومات عن استيراد خام الحديد ولا حتى دخوله ضمن مفردات البضائع المتاجر بها بين ممالك جنوب الجزيرة العربية وجيرانها. إلا أن تكوين المنطقة إجمالاً يدخل ضمن منطقة الدرع العربي الغني بمعادنه، ولعله من المفيد أن أضيف أن كثرة خام الحديد الذي وجدته أثناء دراستي الميدانية لموقع جرش يقوم شاهدًا لا يقبل الشك في أن تعدين الحديد وصناعته كانت رائجة في المنطقة. إذن فلا غرابة إذا أوردت المصادر التاريخية أن المسلمين أثناء حصارهم للطائف كانت لهم دبابة جاء بها خالد بن سعيد بن العاص من جرش.(١٠) وفي رواية أخرى أنه لما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها، وصنعوا الصنائع للقتال: ولم يشهد حنينًا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود، ولا غيلان بن سلمة، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والصبور.(١١)

زيارة إلى الموقع ومشروع البحث

كنت قد حصلت على إذن من الإدارة العامة للآثار والمتاحف لإجراء بعض المجسات في موقع جرش، لإنهاء متطلبات دراستي، وقد تم ذلك خلال شهري رجب وشعبان عام

---

(٨) ابن منظور، *لسان العرب*، جـ٦، ص٢٧٢.

(٩) ابن منظور، *لسان العرب*، جـ٢، ص٩.

(١٠) أبـو عبـدالله محمد بن عمر الواقدي، *المغازي*، تحقيق مارسدن جونس (بيروت: عالم الكتب، ١٩٦٦م)، جـ٣، ص٩٢٧.

(١١) أبـو جعفر محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الأمم والملوك* (بيروت: دار القلم، د.ت.)، م٢، جـ٣، ص١٣٢.

١٤٠٠هـ (١٩٨٠م). وأثناء العمل وأمام كم هائل من الفخار المختلف الأنواع، والذي يزيد على الحاجة المطلوبة لدراستي، رأيت أن أعزل بعضًا منه أخصه ببحث مستقل ودراسة لاحقة. وكان أن عدت من خارج المملكة وباشرت التدريس في قسم الآثار والمتاحف وأتيحت لي الفرصة كاملة لمتابعة ما تمت دراسته ونشره فيما يتعلق بالفخار المكتشف في أماكن متفرقة من المملكة العربية السعودية عامة وجنوبها خاصة، لاسيما في العصور السابقة لظهور الإسلام، وهي فترة طويلة يكتنف جوانبها غموض مبهم، وتحتاج إلى الحيطة والحذر قبل اتخاذ قرار أو إصدار حكم بشأنها، وتلك ضوابط يفرضها المنهج العلمي للدراسات الإنسانية، وثوابت يلتزم بها المتخصصون في ذلك الحقل.

وكان مما شجعني لإتمام هذه الدراسة ودفعها للنشر حرص متواصل من أستاذي عبدالرحمن الطيب الأنصاري، ولعل ذلك حسن ظن منه في ما لديّ، وشجعني كذلك قلة الدراسات المتعلقة بالفخار في المملكة على الرغم من وجود قسم أكاديمي في جامعة الملك سعود هو الوحيد في الجزيرة العربية المعني بالدراسات الأثرية، وكذلك وجود إدارة ذات جهاز متكامل وهي «الإدارة العامة للآثار والمتاحف.» وحبذا لو وحِّدت الجهود، وتم التنسيق بين المؤسستين فيصبح العمل بينهما مشتركًا فكريًا وماديًا ومجهودًا، وهو رأي نادى به أستاذنا الجليل الشيخ حمد الجاسر منذ أمد.[١٢]

كما أن الفترة الفاصلة بين دراستي الأولى لعينات من فخار جرش عام ١٤٠٠هـ (١٩٨٠م)، وكذلك تقارير إدارة الآثار والمتاحف المنشورة عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) إلى وقتنا الحاضر كفيلة بأن تخرج جديدًا، سواء فيما يتعلق بالآراء السائدة أو المادة المدروسة، وهي فترة تمتد من ١٤٠٠هـ إلى ١٤١٤هـ (١٩٨٠ - ١٩٩٤م).

ما تبقى من آثار جرش

لعله من حسن الحظ أن جرش لاتزال تحتفظ بالكثير من الشواهد الأثرية، سواء تلك المنتشرة على السطح كأساسات ومداميك المباني المنحوتة بعناية فائقة من صخور البازلت والجرانايت أو التي مبنية على طريقة أهل المنطقة بقوالب الطين والرقف. وهناك الكثير من

---

(١٢) جدد الشيخ دعوته تلك في إصدار *الرياض*، ع٩٢٦٣ بتاريخ ١٩/٥/١٩٩٣م.

شقف الفخار والأدوات الحجرية والزجاج تتناثر على سطح الموقع، والذي أحسنت إدارة الآثار بوضع حاجز ترابي لوقايته من عبث السيارات.

ويقع جبل حمومة (٢١٧-١١٩)[١٣] في الجهة الشرقية للموقع وتحمل صخوره عددًا من النقوش الجنوبية وكذلك بعض الصور والرسوم.

ويحتل الموقع مساحة تقدر بـ ١٠٠٠م من الشمال إلى الجنوب و ٥٠٠م من الشرق إلى الغرب، إلا أن الزحف العمراني الحديث واستصلاح أجزاء منه للزراعة قلص مساحته بحيث أصبحت قرابة ٥٠٠ × ٢٠٠م يمثلها التل الرئيس وعدد من التلال الصغيرة.

وقد قام فريق من الإدارة العامة للآثار والمتاحف بزيارة الموقع عام ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م وتم توثيق الموقع على خارطة مناطق الآثار في المملكة، وتم كذلك جمع عينات من الفخار المتناثر على سطحه، وحفر كذلك بعض المجسات، وتم نشر النتائج التي توصل إليها هذا الفريق في مجلة *الأطلال* التي تصدرها الإدارة.[١٤]

ولاشك أن عملية مسح الموقع وإجراء مجسات في أحد ركاماته وما تلى ذلك من دراسة للمعثورات — والتي تركزت على الفخار — يعتبر إنجازًا رائدًا، إلا أن النتائج التي توصلت إليها تلك الدراسة يشوبها الغموض في كثير من جوانبها، إضافة إلى مناقشة أمور نحسبها الآن من الفرضيات المسلم بها. ومثال على ذلك العبارة التالية. «وكما هو الحال في موقع الأخدود، فإن هذا الموقع (أي جرش) يبدو أنه عاش فترة استيطان متأخرة إبان العصر الإسلامي» (أكدتها نتائج التحليل بطريقة كربون).[١٥]

ولا أخالنا في حاجة إلى كل هذا في ضوء المعلومات المستمدة من المصادر الإسلامية المبكرة والتي استشهد بها تقرير *الأطلال* نفسه في نهاية الفقرة: «وكما هو معروف عن مدينة

---

(١٣) رقم الموقع حسب تصنيف الإدارة العامة للآثار والمتاحف.

(١٤) زارينس، يوريس وآخرون، برنامج المسح الشامل لأراضي المملكة العربية السعودية، «التقرير المبدئي الثاني عن مسح المنطقة الجنوبية الغربية،» *أطلال*، ع٥ (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص ص٩ - ٣٦.

(١٥) زارينس وآخرون «برنامج،» ص٢٥.

جرش، فقد كانت ذائعة الصيت أيام بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم كأحد المراكز الضخمة في صناعة الجلود.»[١٦]

أما الفخار وهو المادة الأثرية التي اعتمدت للدراسة من قبل المختصين في الإدارة العامة للآثار والمتاحف فهناك تقصير في الدراسة مدار النقاش. ويستوقف القارىء للوهلة الأولى ما ورد في بداية الفقرة المتعلقة بدراسة الفخار. «أما عن فخار الموقع فهو مطابق تمامًا لنظيره في نجران.»[١٧]

والمتخصص في علم الآثار ودراسته يدرك خطورة هذا الحكم، لاسيما عندما يتعلق الأمر بقضايا تاريخية ومسارات حضارية تعتمد إلى حد كبير على الظواهر واللقى الأثرية، وتعتمد على دقة الباحث ومهارته في استنباط مدلولاتها الحضارية.

الهدف من الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى وصف شامل ودراسة أولية لعينات من فخار جرش، بعضه جُمع من سطح الموقع وبعضه الآخر نتج من عمليات الحفر، وتهدف أيضًا إلى محاولة لاستنباط أوجه الشبه بينه وبين فخار موقع «قرية» الفاو، الذي قام بدراسته وتحليله الفريق المختص في قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب، جامعة الملك سعود، وتلك الدراسة هي نتاج أعمال ميدانية متواصلة منذ عام ١٣٩٢هـ (١٩٧١م)، تمت بإشراف مباشر من عبدالرحمن الطيب الأنصاري. وتهدف المقارنة كذلك إلى تأريخ موقع جرش في ضوء التسلسل التأريخي الذي أرِّخت به الفاو من خلال دراسة فخارها والمعثورات الأخرى.

المنهج التصنيفي

ظهرت في الآونة الأخيرة طرق شتى ووسائل مختلفة لدراسة الفخار وتحليله، وكان أهم إنجاز في هذا الشأن استعارة وسائل العلوم التطبيقية البحتة في دارسة العلوم النظرية.

ولا يوجد منهج واحد متفق عليه بين الدارسين لتصنيف الفخار، إذ يختلف تصنيف

---

(١٦) زارينس وآخرون، «برنامج،» ص٢٥.

(١٧) زارينس وآخرون، «برنامج،» ص٢٥.

الفخار باختلاف الأهداف، وطبيعة المادة الفخارية فضلاً عن خلفية المتخصصين في دراسته ونوعية المواقع الأثرية التي ينتمي إليها.[١٨] لذا فإننا في هذه الدراسة سنستخدم معايير تصنيفية متعددة ولكننا سنركز بصفة خاصة على الأشكال والزخارف، مع الأخذ بعين الاعتبار المعايير الأخرى التي تسلط الضوء على ماهية المادة الفخارية. وتشمل الأشكال، والبنية، والصناعة والمعالجة السطحية والزخارف، ويلزم التنويه إلى أننا سندرس فخار كل طبقة من طبقات المجسات التي تم حفرها على حدة، وذلك لتبيان أوجه التماثل أو الاختلاف ومن ثم مقارنتها بفخاريات موقع «قرية» الفاو. والمادة الفخارية التي سنأتي على وصفها في الصفحات التالية تم جمعها من الموقع رقم (٢١٧ ـ ١١٨) جرش، حسب تصنيف إدارة الآثار والمتاحف. وقد صنف الفخار حسب الوضعية التي وجد بها. جزء منه عبارة عن ملتقطات سطحية surface collection جمعت أثناء المسح الأولى للموقع site survey ، والبقية اختيرت من عينات تم جمعها أثناء عملية حفر المجسات، وصنفت حسب تسلسلها الطبقي.

وقد بدىء العمل بالمجس رقم (١) (شكل رقم ٢) على تل يرتفع ٢٠٠ سم عن مستوى نقطة الارتكاز لمسح الموقع bench mark . وقد تتابعت المجسات حتى وصلت إلى ١٣ مجسًا كان الاعتماد الرئيس في توجيهها تتبع مداميك جدران مبنى كبير يظهر من تعدد غرفه وطريقة توزيعها أنه كان مخزنًا لتجارة متنوعة البضاعة.

بلغ عمق المجسات داخل هذه الوحدة السكنية ٢٠٠سم، حيث وصل الحفر إلى تربة غرينية تخلو تمامًا من أي مواد عضوية أو مخلفات حضارية، وهي بكل تأكيد التربة البكر virgin soil. والمجسات ١٤، ١٥، ١٦ تم حفرها على تل يبعد ٢٠٠ متر جنوبًا (شكل رقم ٣)، وكان الهدف منها الحصول على مقطع واضح للتراكم الطبقي للموقع stratigraphy . وقد اتضح من المجس رقم ١٦ أن الموقع بقي مأهولاً بالسكان إلى وقت قريب،[١٩] وأنه

---

(١٨) للمزيد من المعلومات راجع: Anna O. Shepard, *Ceramics for the Archaeologist* (Washington, D.C., Carnegie Institute, 1976).

(١٩) تشير تحاليل العينات التي تمت دراستها من قبل الإدارة العامة للآثار والمتاحف إلى أن الاستيطان في الموقع استمر إلى فترة متأخرة (١٠٣٠م)؛ انظر: *أطلال*، ع٥ (١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ص٢٥.

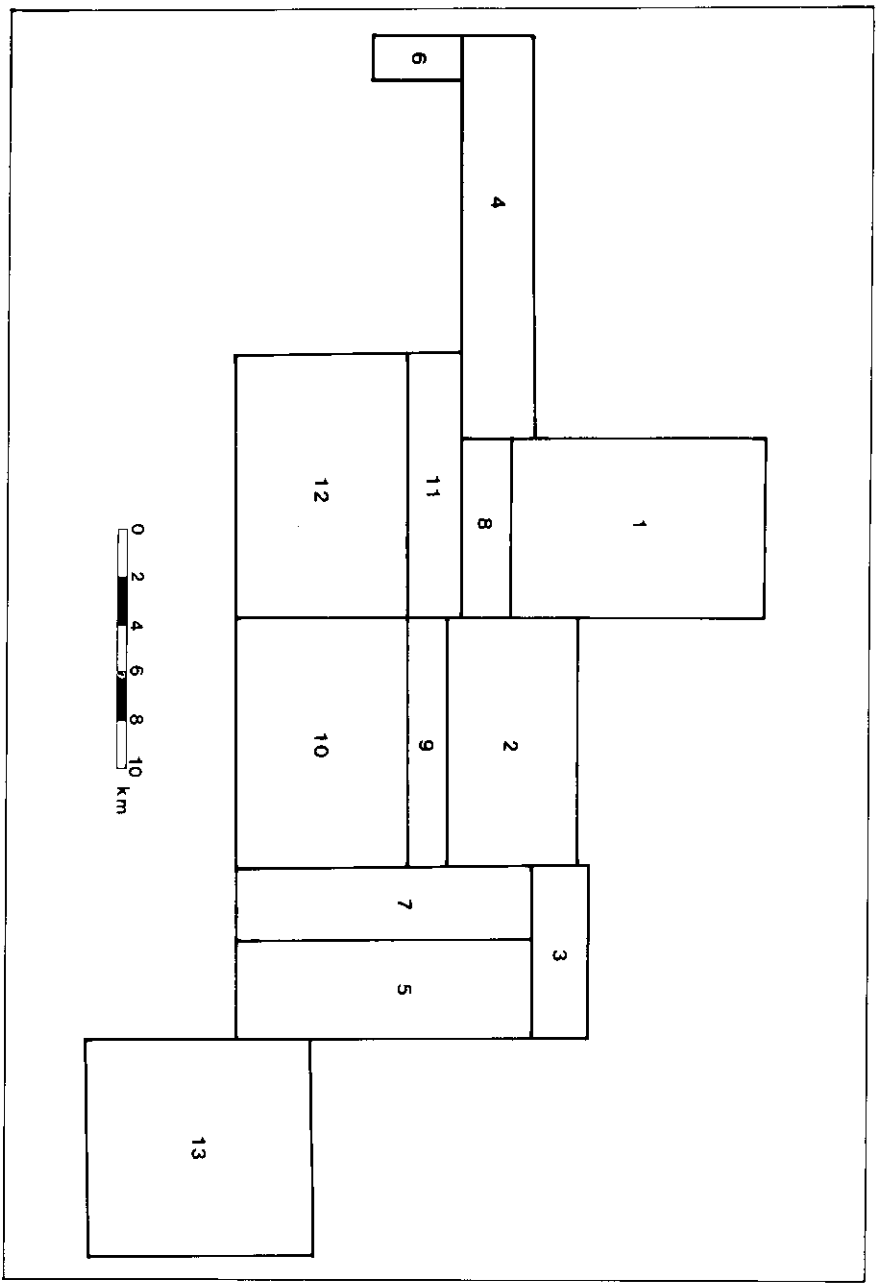

شكل رقم ٢. مخطط أفقي للمجسمات التي تم حفرها.

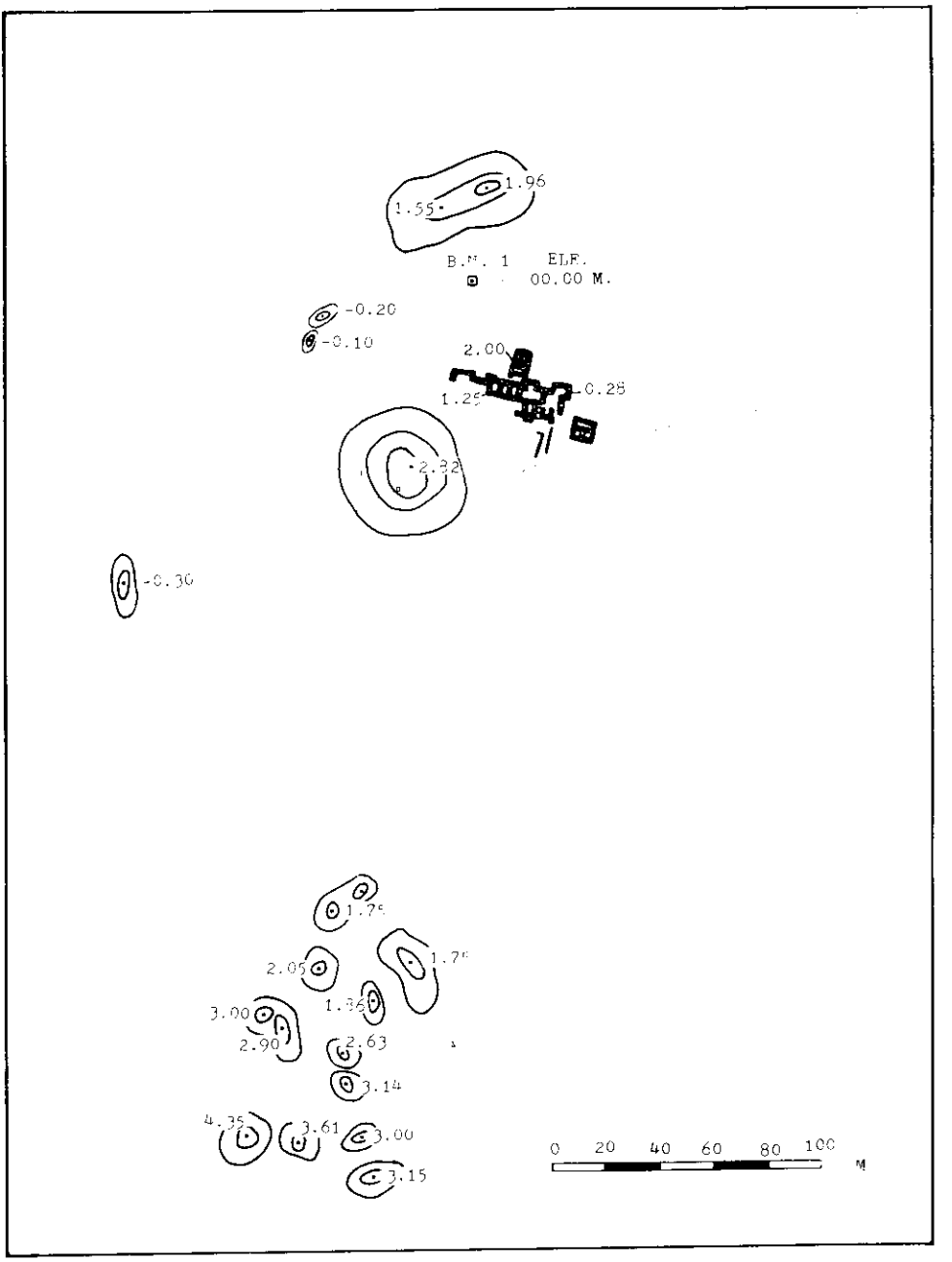

شكل رقم ٣ . مخطط يوضح بعض التلال التي تم إجراء المجسات عليها.

تعـرض لخراب شامـل في أواخـر أيامـه أدى إلى تهدم وحداته السكنية المبنية من الطين والحجارة، وتظهر آثار النيران على أخشاب سقوفه التي قوضت بطريقة عشوائية. أما الأرضية البكر فقد كانت على عمق ٥ أمتار.

فخار اللقى السطحية

١ ـ الشكل

بلغ عدد القطع الفخارية التي تم التقاطها متناثرة على سطح هذا الموقع ٣٦ كسرة بدنية منها ٣٠ كسرة لجرار مختلفة الأشكال والأحجام. واستنادًا إلى أبدان بعض الكسر الكبيرة نسبيًا، ودرجة انحناءاتها يبدو أنها أسطوانية الشكل، وقليل منها بأبدان برميلية (٥ كسر). وتم التعرف على ثلاث زبديات، اثنتان منها على شكل كسر بدنية وثالثة على شكل حافة رأسية مهترئة، وذات شفة مدببة، والكسر متآكلة بسبب الاستعمال و/ أو عوامل البلى (لوحة رقم ١، لوحة رقم٢).

أمـدتنا أيضًا هذه المجموعة بثلاث قطع لأواني طبخ إحداها لقاعدة مستوية يبلغ قطرها ٢٥سم.

٢ ـ البنية

تتميز كل أواني اللقى السـطحية بخشونتها، حيث يكثر التبن والقش في عجينة الجرار، وكذلك ذرات الحصى الصغيرة في الزبديات. كما أظهر مثال واحد منها نسبة عالية من ذرات المايكا التي تبدو متلألئة على السطوح الخارجية. أما أواني الطبخ، فهي أقل خشونة من بقية الأشكال الأخرى، وإن كانت تتخلل عجينتها بعض ذرات الرمل الخشنة، وبعض ذرات الكلس «الجير.»

والملاحظ أن ألوان السطوح الخارجية للجراربنية شاحبة (Munsell 10 YR 7/3) أو بنية محمرة فاتحة اللـون (2.5 YR 6/4,5 YR 6/4) . أما لباب هذه الجرار فيتأرجح بين الرمـادي (5 YR 5/1) ، والرمادي الداكن بدرجات متفاوتة (2.5 YRN 3/0, 10YR4/1,5 YR 4/1) . أما ألوان الزبديات، فمعظمها أحمر (10R5/6, 2.5 YR 5/6) على السطوح الخارجية. أما لون

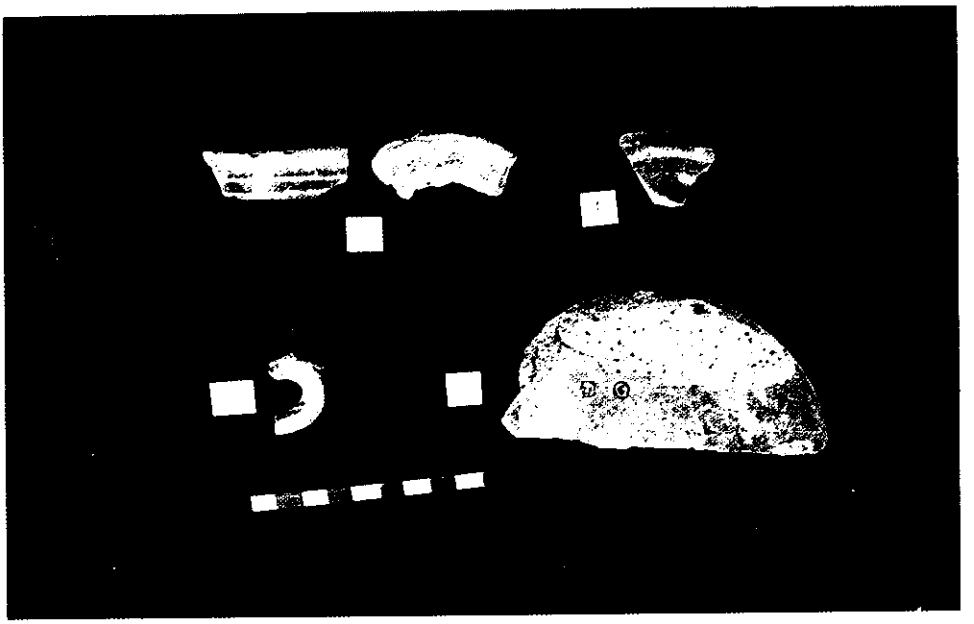

لوحة رقم ١ .

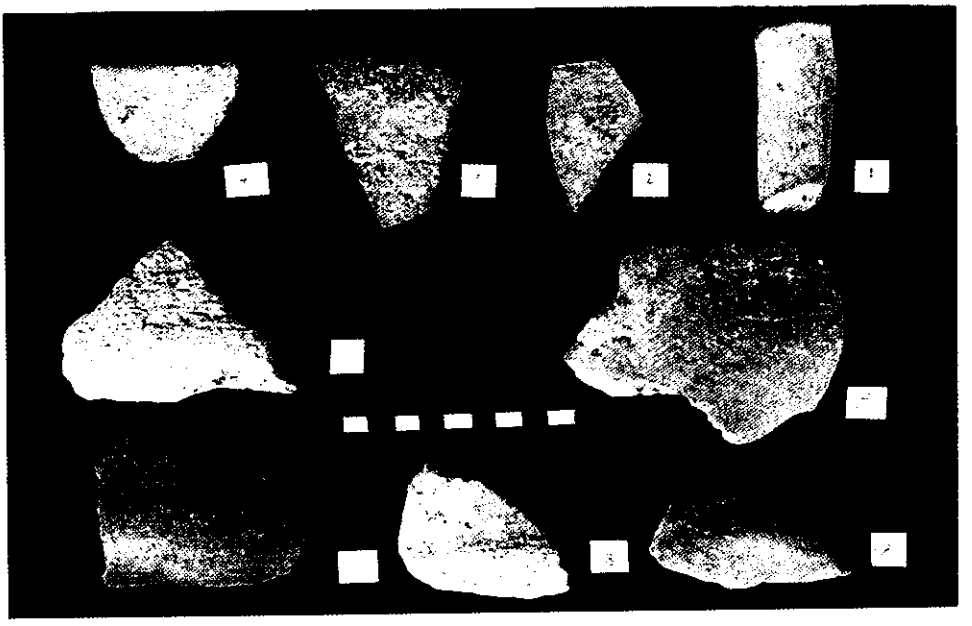

لوحة رقم ٢ .

اللباب فيتراوح ما بين الرمادي (2.5 YN 5/0) والرمادي الداكن (2.5 YN3/0) . أما ألوان قدور الطبخ فهي جميعًا حمراء (10 R 4/8, 10 R 4/6) .

٣ ـ الصناعة

صنعت الجرار بأسلوب اللفائف الحبلية كما يتضح ذلك من كسورها الأفقية. أما الزبديات وأواني الطبخ، فقد صنعت باستخدام سطح دوار turn table.

٤ ـ المعالجة السطحية

يتضح من سطوح الجرار أن عليها بطانة نفذت بالتمليس الذاتي الرطب من مادة الإناء نفسها، كما يظهر على سطوحها الخارجية أثر الكشط والتشذيب. أما الزبديات فمصقولة على سطحها الداخلي بينما صقلت قدور الطبخ على السطحين.

٥ ـ الزخارف

تخلو الجرار وأواني الطبخ من الزخارف التي تقتصر على مثال واحد من الزبديات، يشاهد مزدانًا بحزين أفقيين منفذين باستخدام أداة حادة.

فخار الطبقة الأولى

١ ـ الأشكال

بلغ عدد القطع الفخارية لهذه الطبقة **٣٩** كسرة تنتمي إلى **١٩** آنية فخارية بمختلف الأشكال والأحجام. وأكثر هذه الأواني شيوعًا هي الجرار، إذ يبلغ عددها ٨، ويتراوح سمكها بين ٥,٠سم و ٢,٨سم، ومعظمها عبارة عن كسر بدنية. وهناك مثالان لجرار بفوهات، إحداهما يبلغ قطرها ١٤سم وتنتمي لجرة حمراء أسطوانية الشكل، كما يبدو ذلك من درجة انحناءة كسرة البدن، وذات عنق شبه مقعرة، أما الكسر الأخرى فهي لجرة واسعة الفوهة بشفة منبسطة يتوسطها أخدود ضحل وسطحها الخارجي متآكل إلى حد كبير بسبب الاستعمال و/أو عوامل الدفن في تربة الموقع (شكل رقم ٤ و شكل رقم ٥).

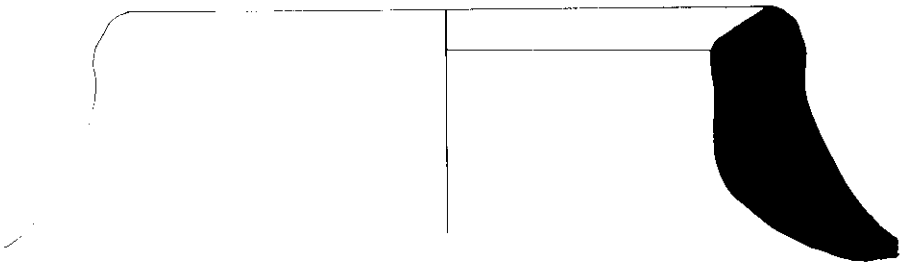

شكل رقم ٤ .

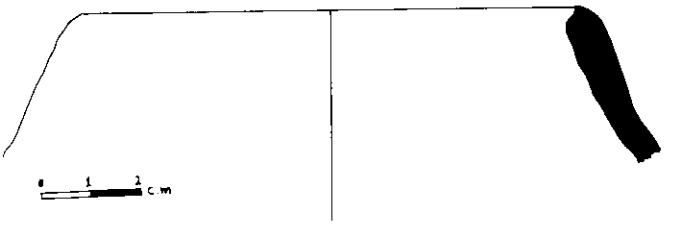

شكل رقم ٥ .

وأواني الطبخ يمثلها نموذج واحد لكسرة حافتها متآكلة مما يتعذر معه قياس قطرها بدقة. وهناك قصعة قطرها ٢٥سم بحافة رأسية، منبسطة الشفة؛ أما سمكها فيتراوح ما بين ٨, ٠سم، ١, ١سم (انظر شكل رقم٦). وتوجد أيضًا ٣ كسر لزبديات مختلفة الأحجام، تبلغ أبعاد أصغرها ٧×٢, ٥سم وأكبرها ٩×٢, ٦سم، وتتفاوت في سمكها بين ٩, ٠سم و ١, ١سم. أما الزبدية الثالثة فهي متآكلة بدرجة كبيرة وذات حافة رأسية، بأخدود ضحل على وسطها الطولي، وتم العثور أيضًا على ٧ قطع لقواعد مستوية متفاوتة السمك بدرجة لافتة للانتباه، حيث يبلغ سمك أصغرها حجمًا بين ١, ١سم إلى ١, ٢سم، في حين يصل سمك أكبرها حجمًا إلى ٧, ٠سم إلى ٢, ٣سم، وتتفاوت هذه القواعد في أقطارها إلى درجة كبيرة، إذ تتراوح ما بين ١, ٧سم إلى ٢, ٢٤سم (شكل رقم ٧، وشكل رقم٨).

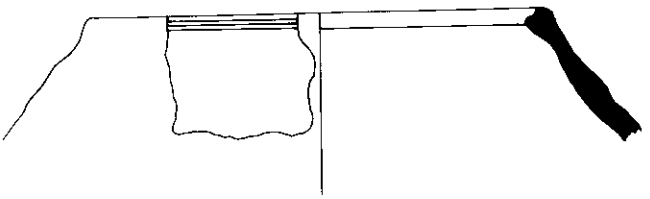

شكل رقم ٦.

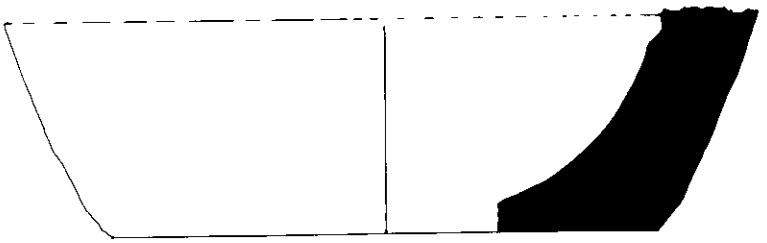

شكل رقم ٧.

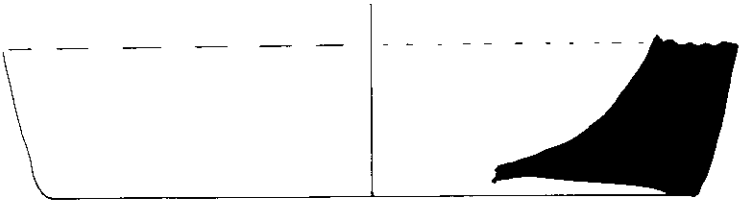

شكل رقم ٨.

٢ ـ البنية

تتفاوت بنيات هذه الأواني في نوعياتها، فالجرار بصورة عامة خشنة العجينة تكثر بها الشوائب كالتبن والقش، كما تتخللها ذرات الحصى الكبيرة نسبيًا، ويلاحظ وجود بعض ذرات المايكا تتلألأ على السطحين. أما أواني الطبخ فمتوسطة الخشونة، وتختلط بعجينتها بعض ذرات الحصى والكلس في بعض الأحيان. ويلاحظ أن عجائن الزبديات تتميز أيضًا بتوسط خشونتها ولكنها تختلف عن عجائن أواني الطبخ، حيث يتخللها بعض الشوائب كالتبن والقش، كما لوحظ بعض ذرات الكلس (الجير) منطمرة في عجائن اثنتين منها. أما لون السطوح الخارجية للجرار، فهو أحمر (10 YR 5/6)، في حين أن اللب رمادي داكن (7.5 YR N 4/0)، ولون أواني الطبخ أحمر على السطحين أيضًا (10 R 4/6)، بينما نجد أن لون اللب رمادي يماثل ألوان لباب الجرار. أما ألوان الزبديات فتتراوح بين البني المصفر الشاحب (10 YR 6/4)، والبني المحمر (5 YR 4/6)؛ أما لون اللب فرمادي داكن (7.5 YR N 5/0).

٣ ـ الصناعة

صنعت الأواني المكتشفة في هذه الطبقة بأسلوب اللفائف الحبلية، ويظهر ذلك من الكسور الأفقية لها، كما استخدم أيضًا السطح الدوار turntable في تشكيل القواعد.

٤ ـ المعالجة السطحية

تظهر على الجرار والزبديات بطانة مشكلة بالتمليس الذاتي الرطب wet smoothing قبل الحرق. أما أواني الطبخ، فيلاحظ أن عليها معالجة سطحية عبارة عن بطانة من المغرة الحمراء على سطحها الخارجي. وقد نفِّذت الباطنة باستخدام أداة صلبة ملساء إلى درجة اللمعان وهي متآكلة في كثير من أجزائها.

٥ ـ الزخارف

من اللافت للانتباه أن الزخارف في فخاريات هذه الطبقة قليلة، حيث لوحظ على كسرة لجرة حزوز مزوية غائرة مائلة مقصوصة على إفريز بارز مضاف للبدن ونفذت بأداة

حادة (شكل رقم ٩). وظهرت زخرفة عبارة عن حزين خفيفين بوضع أفقي على سطح إحدى أواني الطبخ، كما تبرز أيضًا زخرفة مشكلة من حزين أفقيين تعلوهما زخرفة متموجة على بدن إحدى الزبديات (شكل رقم ١٠).

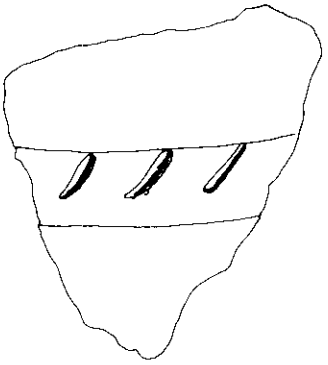

شكل رقم ٩.

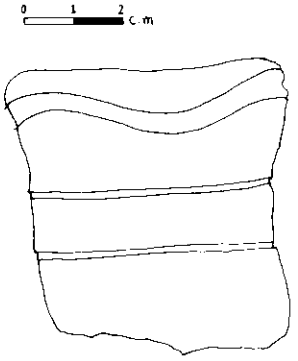

شكل رقم ١٠.

فخار الطبقة الثانية

تتميز هذه الطبقة باحتوائها على كميات كبيرة من الفخار بلغت ١٦٧ كسرة تنتمي إلى ٩٩ إناءً تفاصيلها كما يلي.

١ ـ الشكل

تشكل الجرار أعلى نسبة للأشكال التي تم التعرف عليها في فخاريات هذه الطبقة، حيث بلغت ٩٢ قطعة (٥٥٪) من إجمالي الأواني لهذه الطبقة، وتتميز بخشونة عجينتها، كما وأن عليها بطانة نفِّذت بالتمليس الذاتي الرطب قبل الحرق. ونظرًا إلى أن معظم المادة الفخارية لهذه الجرار عبارة عن كسر بدنية، فيصعب إعطاء صورة متكاملة عن شكل هذه الأواني وحجمها، وإن ظهر مثال واحد لفوهة واحدة قطرها ١٥سم (شكل رقم ١١) وبالإمكان الافتراض أن معظمها أسطوانية الشكل، كما يتضح ذلك من درجة انحناءاتها وأحجامها الكبيرة. أما الأشكال البرميلية فنادرة، حيث لم يعثر إلا على سبعة أوان فقط (٩٪ من إجمالي الجرار). واستنادًا على المثال الوحيد لإحدى الحواف المشار إليها سابقًا، يبدو أنها تميل إلى الخارج وشفتها دائرية الشكل. وقواعد هذه الجرار حلقية الشكل غير شائعة حيث لم تتجاوز خمسة في عددها، ويتراوح قطرها بين ١٦سم و٢٢سم، وسمكها بين ١,٧سم و٢,٢سم، وتبدو عليها بعض الثقوب والتجويفات الصغيرة بسبب وجود الشوائب العضوية المضافة إلى العجينة، كما تظهر على إحداها طبقة من الطين مضافة كدعامة إلى القطعة الأصلية المشكلة لها. ونظرًا لتآكل بعض هذه القواعد (اثنتان) يصعب في بعض الأحيان أخذ قياسات دقيقة لأقطارها.

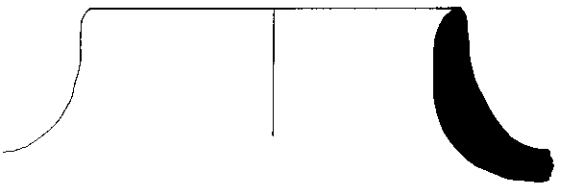

شكل رقم ١١.

والأشكال الفخارية الأخرى قليلة لا تتجاوز ٨٪ من إجمالي الأواني التي تم جمعها من هذه الطبقة.

فالقدور عددها ثلاثة، إحداها عبارة عن قاعدة سميكة، شبه مستوية، يبلغ سمكها بين ٣,١سم و ٤,٢سم وقطرها ٢٦سم (لوحة رقم ١ : ٥). وقد لوحظ وجود بعض الزوائد الطينية على سطحها الداخلي. أما الزبديات فبلغ عددها ثلاثًا، اثنتان منها كبيرة الحجم (قصاع) يتراوح سمكها بين ٦,٠سم و٠٨,٠سم (شكل رقم ١٢ وشكل رقم١٣). وتضم هذه المجموعة كسرة لمقبض شريطي الشكل يبلغ أقصى سمكًا لثخانته ٥,٢سم وأدناه ٢,٢سم (شكل رقم ١٤).

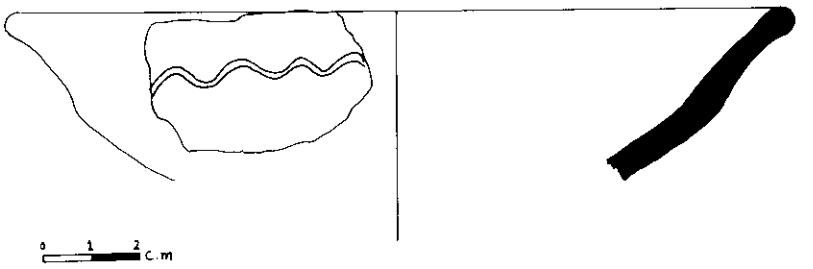

شكل رقم ١٢.

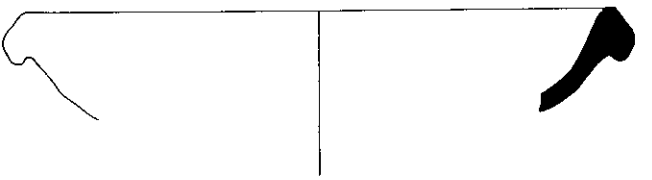

شكل رقم ١٣.

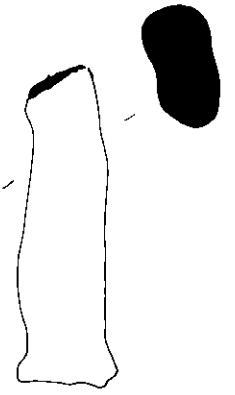

شكل رقم ١٤.

٢ ـ البنيــة

تتميز بنية معـظم هذه الأواني بخشـونة عجينتها، حيث تكثر بها الشوائب كالتبن والقش وبعض ذرات الكلس (الجير). ومن الملاحظ أن بنية الزبديات صلصالية الخشونة وإن ظهـرت بعض ذرات الـرمل الخشنة ممزوجة بعجينة الإناء في مثال واحد. أما قدور الطبخ، فهي ذات بنية خشنة أيضًا وإن اختلطت ببعض ذرات الرمل الصغيرة، وإحدى كسر القـدور تظهـر ذرات المـايكـا والكـوارتز، حيث تبدو واضحة للعيان على أسطحها الخـارجية. ومـما يجب الإشارة إليه، أن اللون السائد في بنيات معظم الجرار هو الأصفر الباهت (5 Y 7/4) حسب تصنيف منسل. وهناك ألوان أخرى أقل شيوعًا، وفي درجات مختلفة من الأصفر المحمر (7.5 YR6/6, 7/5YR7/6) ؛ أما اللون الرمادي الداكن، فنادر في ألوان السطوح الداخلية (7.5 YR N5/0, 5 YR 3/1) ، ويظهر أحيانًا في لباب بعض هذه الجـرار. ولون الزبديات بشكل عام أحمر على السطحين (10 R/6,2.5 YR 4/6) ومكسرها رمادي اللون (2.5 Y N 5/0) . أما القدور، فذات ألوان حمراء متفاوتة الدرجة (10 R 4/6, 2.5 YR 6/4) ، ويبرز اللب فيها لونًا رماديًا (10 YR 6/1) (لوحة رقم ١ : ٦، ٧).

ويلزم التنويه إلى أن العديد من الكسر الفخارية لهذه المجموعة تبرز لبابًا غير مكتملة الحرق، وربما تم إحراقها في أفران جدارية بصورة يتعذر معها التحكم في درجات الحرارة والذي نتج عنه هذا التشكيل المتنوع في مستويات الحرق.

٣ ـ الصناعة

بمقدورنا الاستنتاج من الكسور الأفقية للأواني أنها صنعت بأسلوب اللفائف الحبلية coiling ، كما تظهر الأواني الكبيرة وبخاصة الجرار لفافات rolls طينية لتدعيم جدران الإناء، ويتجلى ذلك في الجرار البرميلية الشكل؛ أما الأواني المتوسطة والصغيرة الأحجام فقد صنعت باستخدام الدولاب البطيء wheel.

٤ ـ المعالجة السطحية

الأواني الكبيرة وبخاصة الجرار، عليها بطانة شكِّلت بالتمليس الذاتي الرطب قبل الحرق wet-smoothing ، ويقتصر الصقل على قدور الطبخ التي تم صقلها بأداة صلبة ملساء إلى درجة اللمعان، وخاصة على سطوحها الداخلية.

٥ ـ الزخارف

تكاد فخاريات هذه الطبقة تخلو تمامًا من الزخارف، حيث لم يتم التعرف إلا على كسرة واحدة لجرة عليها زخرفة متموجة (شكل رقم ١٢).

فخار الطبقة الثالثة

١ ـ الأشكال

تم العثور على ٥١ كسرة لأوانٍ مختلفة الأشكال والأحجام تشمل الجرار، والزبديات، وقدور الطبخ، إضافة إلى كسر يصعب تحديد هويتها، وتتباين أحجام هذه الكسر بصورة كبيرة، إذ تبلغ أبعاد أكبرها ١٠×١٠سم وأصغرها ٣,٧×٣,١سم. وتضم مجموعة الأواني لهذه الطبقة أعدادًا غير قليلة من أبدان الجرار، تبلغ ٣١ من مختلف الأشكال والأحجام. ويبدو من درجة انحناءة الأبدان الكبيرة الحجم نسبيًا أن معظم الجرار أسطوانية الشكل (٣٠ مثالا) وقليل منها (٩ أمثلة) يرجَّح أن يكون لجرار برميلية الشكل. وشملت الأشكال ٦ زبديات نصف كروية (لوحة رقم ١ : ٣، ٤)، منها كسرتان بحواف (شكل رقم ١٥، وشكل رقم ١٦) إحداهما رأسية بشفة دائرية والأخرى تبرز قليلًا نحو الخارج بشفة دائرية أيضًا.

كما تم العثور على خمس قواعد لقدور طبخ تتميز بالشكل المستوي وتتفاوت في سمكها، حيث تتراوح بين ٠,٦ و ٢,٢سم، وضمت المجموعة أيضًا قطعة فخارية لشكل غير منتظم (شكل رقم ١٧)، ربما يكون أحد أرجل حامل لقاعدة إناء سميكة (٣,٢ × ٤,٧سم) ذات شكل محاري.

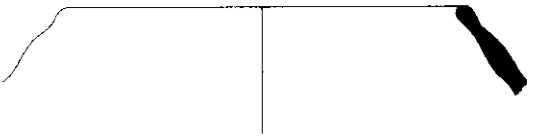

شكل رقم ١٥.

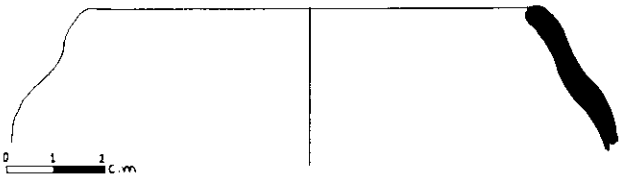

شكل رقم ١٦.

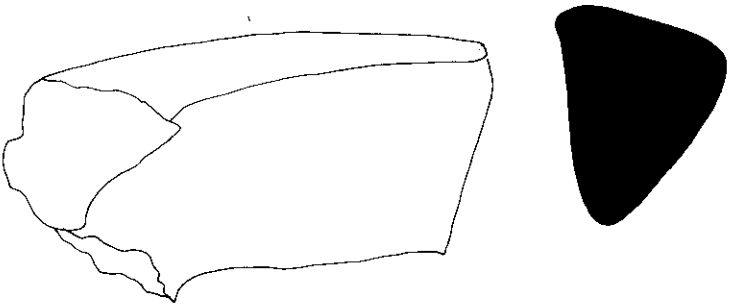

شكل رقم ١٧.

٢ ـ البنية

تتميز كل أواني هذه الطبقة بخشونة العجينة، وإن كانت الزبديات والقدور أقل خشونة من مجموعة الجرار. ويلاحظ وجود الشوائب كالتبن والقش في عجائن الجرار، بينما نجد الشوائب المضافة للزبديات والقدور غير عضوية وتشمل ذرات الحصى الصغيرة والكلس (الجير). وتتباين الأواني في ألوانها بدرجة لافتة للنظر، فالجرار معظمها بلون أحمر (10 R 6/8, 10R 5/6) أو بني (10 YR 5/3)، كما ظهر في ذلك مثال واحد. والنزر اليسير من مجموعة الجرار بلون أصفر باهت (5Y 7/4). وتتفاوت درجات ألوان السطوح الخارجية للزبديات، وإن كانت جميعها حمراء (10 R5/8, 2/5 YR 5/6)؛ أما قدور الطبخ، فألوانها تتراوح بين الأحمر (7.5 R 5/6)، والبني (7.5 YR 5/2)، والبني المحمر (5 YR 4/3)، والرمادي الداكن (10 YR 4/1). ولباب هذه القدور يتفاوت بين الرماي العادي (5 Y 6/1) والرمادي الداكن (2.5 YN 3/0).

٣ ـ الصناعة

صنعت الأواني الكبيرة (الجرار) بأسلوب اللفائف الحبلية؛ أما الأواني المتوسطة (الزبديات والقدور)، فقد صنعت بأسلوب اللفائف مع استخدام الدولاب البطيء wheel.

٤ ـ المعالجة السطحية

يشاهد على السطوح الخارجية للجرار بطانة خفيفة من مادة الإناء ذاتها أضيفت بالتمليس الذاتي الرطب قبل الحرق. ولوحظ الصقل عند السطوح الداخلية للزبديات. أما أواني الطبخ، فمعظمها يخلو من الصقل عدا إناء واحد تظهر على سطحه الخارجي بقايا بطانة حمراء داكنة.

٥ ـ الزخارف

تكاد كل أواني هذه الطبقة تخلو من الزخارف تمامًا، حيث لم يعثر إلا على زخرفة واحدة عبارة عن حز أفقي ضحل على كسرة بدنية لإحدى الزبديات كما يبدو.

الطبقة الرابعة

١ ـ الأشكال

تم العثـور على ٣٨ قطعـة فخارية تحتوي على أعداد متماثلة من الجرار والقدور، وتتفاوت في أحجامها ونوعياتها، فالغالبية العظمى عبارة عن أبدان تختلف في أحجامها، فتبلغ أبعاد أصغرها ١,٤ × ٢,١سم، في حين تصل أبعاد أكبرها ٨,٥×١١سم إضافة إلى قليل من الحواف الممتدة للخارج وذات الشفاة الدائرية والتي يصل قطرها إلى ١٤سم. أما القـدور، فمعظمها عبارة عن كسر بدنية (١٠ أمثلة). وبقية الأشكال التي تمثل القدور تتكون من حافة صغيرة وعدد من القواعد (لوحة رقم ١ :٨، ٩). فالحافّة تميل إلى الخارج ويبلغ قطرها ١٠,٥سم. وبقية الكسر عبارة عن قواعد (٦ أمثلة) مستوية السطح تتراوح أقطارها بين ٨,٥ و ٢٣سم (شكل رقم ١٨ وشكل رقم ١٩). وتم العثور أيضًا على عروة لقدر طبخ علي شكل نتوء تزداد سمكًا عند نقطة الالتصاق مع البدن. ويلاحظ أن طبقة البطانة بالمغرة الحمراء red ocher على آنية الطبخ قد أصابها الاهتراء بسبب الاستعمال و/ أو عوامل الزمن في تربة الموقع. وبقية الأشكال تشمل كسرة لزبدية على سطحها بقع سوداء تبلغ أبعـادها ٤,٢×٣سم، وسمكها يتفاوت بين ٠,٩×١,١سم. وهناك قاعدة إبريق مستوية الشكل يبلغ قطرها ٨,٢سم وسمكها يتراوح ما بين ٠,٨ ـ ١,١سم، ويبدو أن شكله كمثري كما توحي بذلك درجة انحناءة البدن. وبالإضافة إلى ما سبق، فهناك العديد من الكسر البدنية الصغيرة (أبعادها ١,٦ × ٤سم، ٥,٥ × ٣,٢سم و ٤,١ × ٧,٣سم) ولا نستطيع تحديد هويتها نظرًا لصغر أحجامها.

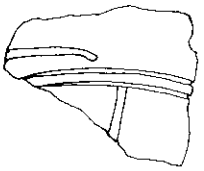

شكل رقم ١٨.

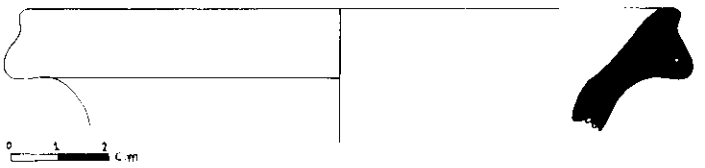

شكل رقم ١٩ .

٢ ـ البنية

تتفاوت بنية الأشكال الفخارية لهذه الطبقة بدرجة ملحوظة، فمعظم الجرار تتميز بخشونتها، حيث تحتوي عجينتها على الشوائب كالتبن والقش، مما يجعلها أكثر مسامية وبالتالي أكثر ملاءمة بالنسبة للتبريد (١٤ مثالاً). وهناك ٣ أمثلة فقط لجرار تقل فيه نسبة الشوائب العضوية وتمتزج بعجينتها كثير من ذرات الحصى والكلس (الجير)، مما يرجح أنها كانت تستخدم للحفظ والتخزين. وألوان سطوح معظم الجرار (٧٠٪ من إجمالي عدد الجرار) حمراء بدرجات متفاوتة (2.5 YR 5/6, 10 R 5/8, 10 R 5/6) ، وبقية الجرار لها ألوان بنية شاحبة (10 YR 7/3) ، أو بنية محمرة فاتحة اللون (2.5 YR 6/4, 5 YR 6/4) ، ويلاحظ أن قدور الطبخ مبطّنة على السطحين بالمغرة الحمراء (10 R 5/6, 2.5 YR 5/6) . أما الزبدية الوحيدة في هذه المجموعة الفخارية، فهي ذات لون أصفر محمر (5 YR 6/6) على السطحين بما في ذلك اللب. وتتميز قاعدة الإبريق بلون أحمر على السطحين (10 R 5/6) ؛ أما اللب فرمادي داكن اللون (7.5 YR N 4/0) .

٣ ـ الصناعة

صنعت الأواني الكبيرة (الجرار ومعظم القدور) باستخدام أسلوب اللفائف الحبلية كما يظهر ذلك من الكسور الأفقية لها، كما تشاهد آثار استعمال المطرقة والسندان paddle and anvil ؛ أما الأواني الصغيرة (الزبديات وقليل من قدور الطبخ)، فقد صنعت باليد مع استخدام سطح دوار turn table ، وتظهر حزوز الدولاب البطيء بوضوح على السطوح الداخلية لهذه الآنية.

٤ ـ المعالجة السطحية

تشاهد السطوح الخارجية للجرار مبطنة بطبقة رقيقة من مادة الإناء نفسها wet-smoothing ، وذلك قبل الحرق، كما يلاحظ أثر الكشط والتشذيب باستخدام أسلوب المطرقة والسندان، وكُسِيَتْ سطوح قدور الطبخ ببطانة من المغرة الحمراء red ocher مصقولة بأداة صلبة ملساء إلى درجة اللمعان. ويلاحظ في مثالين لقواعد قدور الطبخ أن عوامل الانطمار في تربة الموقع قد أفقدت تلك الأواني بريق البطانة المصقولة؛ أما الزبدية الوحيدة في هذه المجموعة، فيظهر على سطحها الخارجي صقل متوسط اللمعان. وتلاحظ حزوز الدولاب بوضوح على هذه الزبدية وقاعدة الإبريق الكمثري الشكل.

٥ ـ الزخارف

يلاحظ ندرة الزخارف في فخاريات هذه المجموعة. وقد شوهدت زخرفة على حافة إحدى القصاع عبارة عن حزوز أفقية ضحلة (شكل رقم ٦)، كما ظهرت على أبدان بعض الجرار زخارف مشكلة من حزوز غائرة مائلة مقصوصة (شكل رقم ٩)، وأخرى مركبة بحزوز أفقية متموجة (شكل رقم ١٠). وتم التعرف أيضًا على زخرفة متموجة على بدن إحدى الزبديات (شكل رقم ١٢).

ومن الزخارف المركبة التي عثر عليها مزينة أبدان بعض الجرار الكبيرة، زخرفة مكونة من حزين أفقيين يعلوهما حز ضحل غير مكتمل بوضع مائل وآخر رأسي يتدلى من وسط الحزين الأفقيين (شكل رقم ١٨).

فخار مزجج Glazed ware

عثر على ٨ كسر بدنية لحوافّ وقواعد مختلفة الأشكال والأحجام في المحبس الرابع، المستوى الثالث. وتشكل هذه الكسر أربعة أوانٍ تفاصيلها كالآتي.

١ ـ كسرة من حافّة مزهرية صغيرة (لوحة رقم ٢ : ١)

ولهذه المزهرية حافة تميل إلى الخارج وشفة مزوية بأخدود ضحل على مقطعها الطولي ويبلغ سمك الحافة ٠,٧ ـ ١,٢ سم، وقاعدتها حلقية وقطرها ٩ سم. كما تم التعرف على

كسرتين بدنيتين تشكلان جزءًا من هذه المزهرية تبلغ أبعاد الصغرى ٤,٢ × ٣,١ سم، والكبرى ٧,٥ × ٥,٢ سم، وتظهر على سطوحها كثير من التشققات بسبب الأملاح و/أو عوامل الدفن في تربة الموقع.

٢ ـ كسرة من حافّة مزهرية وقاعدتها (لوحة ٢ : ٢)

الحافة يميل طرفها العلوي نحو الخارج وذات شفة شبة مستوية يتركز داخلها التزجيج المخضّر اللون. ويلاحظ وجود بعض التآكل على الشفة، كما توجد بعض التشققات في طبقة التزجيج ناتجة من أثر الاستعمال وعوامل الدفن في تربة الموقع. ويبلغ قطر فوهة هذه المزهرية ١٣,٢ سم (شكل رقم ١٩). أما قاعدتها المستوية، فيبلغ قطرها ٨,٢ سم، وسمكها يتراوح ما بين ١,٧ و٢,٥ سم. ويلاحظ وجود رواسب ملحية مختلطة بعجينة الإناء، ويبدو أن الإناء قد اكتسبها بسبب عوامل الدفن. وألوان حافّة المزهرية وقاعدتها خضراء، كما تشاهد آثار سوائل على السطح الخارجي، إضافة إلى بعض الثقوب والتجويفات الناتجة من وجود بعض الجيوب الهوائية على سطح الإناء أثناء إضافة طبقة التزجيج.

٣ ـ كسر لقاعدة إناء (مزهرية؟) (لوحة رقم ٢ : ٣)

القاعدة مستوية السطح، قطرها ١٢سم بلون رمادي على السطحين. ويلاحظ وجود بعض التآكل أسفلها بسبب الاستعمال فيما يبدو. كما تشاهد بعض النتوءات على السطح بسبب وجود بعض الذرات الخشنة على سطح الإناء أثناء إضافة طبقة التزجيج.

٤ ـ كسرة مقبض صغير (شكل رقم ١٧، لوحة رقم ٢ : ٤)

عبارة عن مقبض حلقي صغير يحتمل أن يكون جزءًا من إبريق صغير تم العثور عليه ضمن هذه المجموعة المزججة، ولونه أزرق باهت، ويلاحظ بعض التآكل على أطرافه ويزداد سمكًا عند نقطة الالتصاق مع البدن (السمك ١,٤ ـ ١,٥سم).

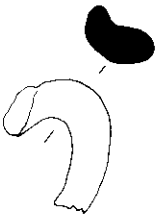

شكل رقم ٢٠.

المقارنـــــــة

وبمقـارنة فخاريات جرش بفخار الفاو نجد أن أوجه الشبه لا تقتصر على جانب منفرد وإنما تظهر واضحة في الأشكال والبنية والصناعة والمعالجة السطحية.

فمن حيث الشكل يتفق شكل الجرار التي وجدت في جرش مع أشكال جرار الفاو. فالمجمـوعتـان ومعظمها برميلية واسعة الفوهة، ذات حواف بسيطة تمتد نحو الداخل أو الخارج حسبما يتطلبه حجم الجرة ووظيفتها، ولها شفاة دائرية، وتخلو من المقابض. ولكي يسهل نقل الإناء فقد عمد الفخاري إلى إطالة رقبة الجرة أو تثخين الشفة وتوسيعها نحو الخارج (شكل رقم ١١).

وتتفق جرار جرش والفاو في الوظيفة التي صنعت من أجلها، فهي أساسًا أداة لحفظ الحبوب وخزنها وقد تستعمل لحفظ السوائل، وهي وظيفة شائعة للجرار في جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام. وهناك ملاحظتان أوردهما فان بيك (Van Beek) فيما يتعلق بوظيفة الجرار:

فالأولى: أنها لم تكن مهيأة لحفظ البضائع المنقولة نظرًا لثقلها وقابليتها للكسر.

والثانية: اقتصرت وظيفتها الأساسية على حفظ الحبوب سواء في المتاجر أو البيوت.

وقـد استخلص أنها وإلى حد ما تشـابـه في وظيفتها الجرار الحمورابية والكشية في بابـل.[٢٠] وتمثـل الجرار نسبة عالية في فخاريات الفاو خلال المرحلتين المعماريتين الأولى

---

(٢٠) Van Beek, *Hajare Bin Humeid. Investigations at a Pre-Islamic Site in South Arabia* (Baltimore: The Johns Hopkins Press, 1969), p. 99.

والثانية، والتي أرخت بالفترة من القرن الثاني قبل الميلاد وحتى نهاية القرن الثالث الميلادي.[٢١] وإذا ما حاولنا تأريخ الطبقة الرابعة في موقع جرش، فإن فخارها يتفق مع فخار الفاو بدءًا من بداية مرحلته المعمارية الأولى من بداية القرن الثاني حتى منتصف الأول قبل الميلاد (٢٠٠ ـ ٥٠ق.م.) والتي أطلق عليها الفترة المعينية.

وتمثل القدور ذات الشكل الكروي غالبية قدور جرش مع اختلاف في أحجامها. ومع أن المجسات التي تم حفرها لم تمدنا ب (القدر) بحالة جيدة يمكن الاستشهاد به كنموذج متكامل لقدور جرش إلا أن الكسر الفخارية التي وجدت في الموقع تعتبر كافية لتصور الأشكال التي كانت عليها تلك القدور. وقدور جرش مستوية السطح تزوذ بعروة (مقبض) على جانبي الإناء أسفل الشفة، وهي على شكل نتوء تزداد سمكًا عند نقطة الالتقاء بالبدن، وهي شبيهة بدرجة كبيرة لتلك التي وجدت في الفاو والتي تعود إلى الدور الثاني من المرحلة الأولى كما سنرى فيما بعد.

وبنية فخار جرش وصناعته يحكمها عاملان أساسيان هما حجم الإناء ووظيفته، فالجرار معظمها خشنة العجائن لكثرة الشوائب والاعتماد على التبن والقش في مقوياتها مما يجعلها أكثر مسامية وبالتالي أكثر ملاءمة للتبريد. في حين نلاحظ السماكة في بنيتها مع عدم انتظام أسطحها، وهي سمة نتجت عن استخدام أسلوب اللفائف الحبلية coiling، وتنتج أيضًا من استخدام المطرقة والسندان paddle and anvil في تسوية جدار الجرة وهي في حالة ما يعرف بـ leather - hard. أما الأواني الصغيرة كالقدور والزبديات، فقد استخدم في صناعتها اليد مع السطح الدوار turn table. ومن الملاحظ أن عجائن هذه الأواني تقل فيها الشوائب مما يجعلها أقل خشونة لتتناسب وما يتطلبه دوران الدولاب وهذا الأسلوب شائع كذلك في الفاو، واستمر في جرش حتى الفترات الاستيطانية المتأخرة.

---

(٢١) عاصم البرغوثي وآخرون، «دراسة لفخار الموسم العاشر: ١٤٠٤ ـ ١٤٠٥هـ بموقع الفاو،» تقرير غير منشور، قسم الآثار والمتاحف، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، ص ص٩، ١٠؛ عبدالرحمن الطيب الأنصاري، *(قرية) الفاو صورة للحضارة العربية قبل الإسلام في المملكة العربية السعودية* (الرياض: جامعة الرياض، ١٤٠٢هـ)، ص٢٩.

وتعتبر الزخارف من العناصر الأولية ذات الأهمية في دراسة الفخار، سواء في المراحل الاستيطانية التي عاشها الموقع أو في المقارنة بين فخاريات مواقع مختلفة كشأننا في هذه الدراسة.

وتتفق نتائج الحفريات الأثرية التي أجريت في جنوب الجزيرة العربية على ندرة الزخارف على فخاريات فترة ما قبل الإسلام. وقد حصرت كيتون تامبسون أنواع الزخارف على فخار حريضة، فلم تزد على خطوط مستقيمة أو متعرجة على الأطراف العليا من الأواني الفخارية التي عثرت عليها في الموقع،(٢٢) في حين اقتصرت الزخارف في فخاريات حجر بن حميد الذي قام بدارسته فان بيك على نوعين من الزخارف، هما التحزيز incision والتصبيغ painting وكلاهما نادر الاستعمال. ويعترف فان بيك بعدم استطاعته تقديم مبرر مقبول لهذه الظاهرة(٢٣) "The writer can offer no convincing explanation for this unusual development." ومع أن فخار كل من حريضة وحجر بن حميد يعودان لفترات تاريخية سابقة لفخار كل من جرش والفاو، إلا أن ظاهرة قلة الزخارف على فخار الجزيرة العربية قبل الإسلام تعد ظاهرة عامة وبقيت ملازمة لمختلف أنماط فخار جرش حتى فترات متأخرة، في حين ظهرت عناصر زخرفية جديدة على فخار الفاو في مرحلته المعمارية الثانية، إذا أصبحت أكثر تعقيدًا علاوة على تنوعها.(٢٤)

وإذا ما تتبعنا زخارف فخار جرش نجدها عبارة عن حزوز مستقيمة أو متعرجة على أعناق الجرار وأكتاف القدور وجوانب الزبديات (أشكال ٦، ١٠، ١٢) ويمثل (شكل رقم ٩) حزوزًا مزوية غائرة مائلة وهو نمط ليس بشائع الاستعمال.

وقد وجد هذا النمط في الفاو منذ المرحلة الأولى (٢٠٠ - ٥٠ق.م.)، وهي الفترة المعينة واستمر حتى الفترة الثانية (٥٠ق.م. - ٣٠٠م). ونلاحظ أن زخارف فخار الفاو قد تطورت بإدخال عناصر هندسية جديدة تمثلت في حزوز متوازية ممشطة تظهر أحيانًا على

---

(٢٢) Caton G. Thampson, *The Tombs and Temple of Hureidha (Hadhramaut)* (London: University Press, 1944), pp 118-21.

(٢٣) Van Beek, pp 98-99.

(٢٤) البرغوثي وآخرون، «تقرير،» ص١٨.

شريط مضاف بشكل مصبع أو بحزوز مائلة غائرة تشبه الحبل المجدول،[٢٥] في حين بقيت أنماط زخارف فخار جرش — وكما أسلفنا — محافظة على تشكيلاتها نفسها التي سبق وصفها.

الفخار المزجج Glazed pottery

يلاحظ ندرة الفخار المزجج في جرش وعلى أقل تقدير في المجسات التي تم حفرها، في حين يمثل هذا النوع من الفخار نسبة عالية ضمن المادة الفخارية في الفاو. وتمثل الكسر التي عثر عليها في جرش مزهرية ومقبضًا لإبريق (شكل رقم ١٩ وشكل رقم ٢٠) وهي في حالة مهترئة نتيجة دفنها في تربة الموقع. وليس لدينا من القرائن ما يؤكد صناعتها محليًا وأقرب شبه لها الفخار المطلي باللون الأزرق، والمزخرف بطريقة الترشيش الذي تتميز به فترة العصر العباسي.[٢٦]

تأريخ الموقع من خلال معثوراته

يعتبر موقع جرش من المواقع التاريخية في الجزيرة العربية، ونقصد بذلك أنه حظي بقدر جيد من اهتمام كتابات صدر الإسلام التاريخية والجغرافية والدينية. وقد أمدتنا تلك الكتابات بمعلومات وفيرة عن موقعه وأهميته كفتنا مؤنة استقراء معثوراته وعناء تأريخها لهذه الفترة، إلا أن الفترة التي سبقت ظهور الإسلام يكتنفها غموض لا سبيل إلى معرفته إلا بالعمل الأثري والدراسة الميدانية ثم تحليل المعثورات ودراستها.

ولا شك أن قطع العملة النقدية تعد من أهم اللقى الأثرية التي يعول عليها تأريخ الموقع الأثري لما تحمله من دلالات تاريخية واقتصادية.

أثناء عملية الحفر في المجس الثاني،[٢٧] وفي المستوى الثالث على عمق ١٥٠سم عثر على قطعة نقدية رومانية، تترا دراخما tetradrachma ترجع إلى عصر الإمبراطور كراكالا

---

(٢٥) البرغوثي وآخرون، «تقرير،» ص١٨، شكل (٥٠-٥٢).

(٢٦) زارينس، وآخرون، «برنامج،» ص٢٥.

(٢٧) انظر مخطط رقم ٤، مخطط رأسي للمجس رقم ٢.

(٢١١ ـ ٢١٧م) ومؤرخة بعام ٢١٢م، وقد سكت في مدينة أنطاكية (لوحة رقم ٣).

ولمحاولة استنباط تاريخ مدينة جرش من خلال هذه القطعة النقدية، فلابد من إلقاء نظرة مقتضبة على الأوضاع السياسية والاقتصادية في الولايات الشرقية من الإمبراطورية الرومانية خلال تلك الفترة.

يبدو أن مملكة الأنباط قد تضاءل نفوذها منذ عام ٦٤ق.م، وهو التاريخ الذي استولى فيه القائد الروماني بومبي على دمشق.[٢٨] إلا أن هذه المملكة بقيت محتفظة بشيء من الاستقلال حتى عام ١٠٦م عندما أمر تراجان (٩٨-١١٧م) نائبه في سورية «كورنيليوس بالما» بأن يزحف على البتراء، وأن يضم دولة الأنباط إلى الإمبراطورية الرومانية التي أصبحت فيما بعد تعرف بالمقاطعة العربية Provincia Arabia.[٢٩] وأصبحت بصري عاصمة لها، بينما أخذت البتراء تتضاءل شيئًا فشيئًا حتى أصبحت في القرن الثالث مجرد مكان ضئيل الشأن.[٣٠]

خلال الفترة من القرن الأخير قبل الميلاد وعام ٢٧٣م أخذت مدينة تدمر المعروفة في المصادر الكلاسيكية بـ Palmyra تظهر على مسرح الأحداث السياسية والاقتصادية، إذ كانت تقع على بعد ١٥٠ كيلو مترًا إلى الشمال الشرقي من دمشق في مكان متوسط بين دمشق والفرات، ومن ثم فقد كانت موقعًا مهمًا على الطريق التجاري بين العراق والشام. بل كانت نقطة التقاء تجارة العراق وإيران والهند والخليج العربي وجنوب الجزيرة العربية ومصر.[٣١] وهكذا خلفت تدمر البتراء لتكون ملتقى جميع القوافل.[٣٢]

---

(٢٨) دونالد وددلي، *حضارة روما*، ترجمة جميل بواقيم الذهبي وفاروق مزيد (القاهرة: دار نهضة مصر، ١٩٦٩م)، ص١٤٢.

(٢٩) محمد بيومي مهران، *دراسات في تاريخ العرب القديم*، ط٣ (الرياض: مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٢م)، ص٥٢٠.

(٣٠) مهران، *دراسات*، ص٥٢١.

(٣١) مهران، *دراسات*، ص٥٣٣.

(٣٢) تشير المصادر إلى أن تدمر كانت مدينة عامرة مشهورة فيما بين ٣٠٠-٢٠٠ قبل الميلاد، وكانت واحة

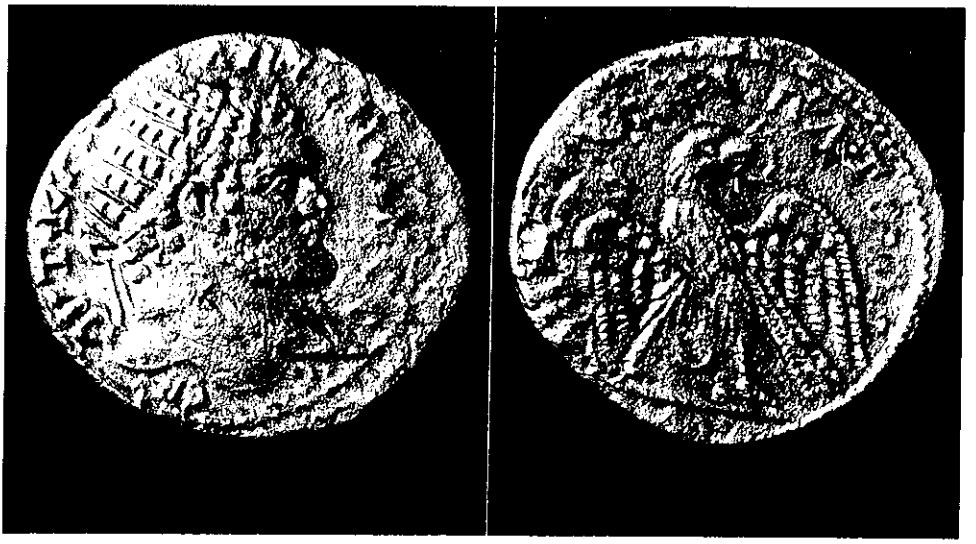

لوحة رقم ٣. صورة مكبرة لقطعة العملة.

أما جنوب غرب الجزيرة العربية، فقد أصاب اقتصادها بعض التدهور قبل مجيء الرومان، حيث إن بطالمة مصر وجّهوا اهتماماتهم إلى بسط سيادتهم على البحر الأحمر، وقد تم لهم ذلك وتمكنوا من السيطرة على الملاحة فيه، بل وتمكنوا من الاتصال بالهند وشرق آسيا مباشرة.(٣٣) ومنذ سقوط مصر في العام ٤٨ق.م ووقوعها تحت سيطرة الرومان المباشرة فيما

= تقع بين سوريا وبابل شمال الصحراء السورية، شمال شرق دمشق. وبسبب اضطراب أحوال بلاد ما بين النهرين في القرن الأول قبل الميلاد، سيطرت على التجارة في سوريا وتلك البلاد، وازدادت أهميتها بعد سقوط البتراء في ١٠٦م فأصبحت مملكة كان أشهر ملوكها سبتميوس أودناثوس (أذينة)، وبعد وفاته بسطت أرملته زنوبيا رقعة الدولة بفتح مصر وأكثر آسيا الصغرى. قضى عليها الإمبراطور الروماني أورليانوس وخرب تدمر سنة ٢٧٣م، انظر: جواد علي، *المفصّل في تاريخ العرب قبل الإسلام* (بيروت: دار الثقافة، ١٩٨٠م)، جـ٣، ص٧٨؛ كذلك انظر: *الموسوعة العربية الميسرة*، ١٩٦٥م.

(٣٣) إبراهيم نصحي، *تاريخ مصر في عهد البطالمة* (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٨٤م)، جـ١، ص٤١٦.

بعد، أخذو يتطلعون إلى توسيع نفوذهم وبسط سلطاتهم على الجزيرة العربية بالاستيلاء عليها وعلى ثرواتها العظيمة التي اشتهرت بها من الاتجار بالمر واللبان والبخور والأوفاويه، وللقضاء على لصوص البحر الأحمر وقراصنته الذين كانوا يحتمون بسواحل الحجاز واليمن.(٣٤) وبالرغم من أن الحملة العسكرية الرومانية التي قادها أليوس جالوس Aclius Gallus في العام ٢٤ق.م إلى جنوب الجزيرة العربية لم تحقق مجمل الطموحات الرومانية، إلا أنها أضرت باقتصاديات عرب الجنوب، بل ودمرت الكثير من منشآت البنية التحتية لحضارته.(٣٥) ونتيجة لفشل الرومان في السيطرة على جنوب الجزيرة العربية كرّسوا جهودهم للسيطرة على التجارة البحرية عبر البحر الأحمر ومضيق باب المندب، مما أفقد تجار عرب الجنوب نشاطهم البحري حيث اتجهوا إلى التجارة البرية.

وعلى أثر ذلك ازدهرت طرق التجارة البرية ومراكزها، كنجران وجرش و «قرية» الفاو، خلال الفترة ما بين القرنين الأول والثالث الميلاديين. وفيما يتعلق بالعملة الرومانية التي عثر عليها في جرش، والتي تعود لعام ٢١٢م، فإن تداولها حتمًا سيكون في الأسواق التجارية القائمة آنذاك. ونعرف سلفًا أن مملكة تدمر عربية صرفة بغض النظر عن حضارتها المتعددة الجوانب. وقد بلغت درجة كبيرة من الرقي، مما دفع بالإمبراطور (سيبتميوس سفيروس ١٩٣ - ٢١١م) أن يمنحها حقوق المستعمرة اكتسبت بموجبه حق الملكية(٣٦) والإعفاء من الخراج، فضلاً عن الحرية التامة في إدارة شؤونها. ويتفق هذا التاريخ مع فترة الازدهار التي عاشتها «قرية» الفاو في مرحلتها المعمارية الثانية، والتي أُرِّخت من النصف الثاني من القرن الأول قبل الميلاد حتى نهاية القرن الثالث الميلادي (٥٠ - ٣٠٠م).(٣٧) فإذا ما أعطينا فترة نقدِّرها بثمان سنوات لتداول تلك العملة (٢١٢ - ٢٢٠م)، فإن وصولها إلى جُرش يعد أمرًا طبيعيًا في الأعراف التجارية.

---

(٣٤) علي، *المفصل*، جـ٢، ص٢٥.

(٣٥) علي، *المفصل*، جـ٢، ص٤٧.

(٣٦) مهران، *دراسات*، ص٥٤٠.

(٣٧) بناء على التسلسل الطبقي والزمني الذي توصلت إليه لجنة أبحاث الفاو (وذلك من خلال اتصالات شخصية مع مدير مشروع الفاو عبدالرحمن الطيب الأنصاري).

مما تقدم، فإن باستطاعتنا أن نؤرخ المستوى الثالث في جرش ما بين ٢٢٠ ـ ٢٥٠م، ويتفق هذا التقدير مع تاريخ الطبقة الخامسة لحفرية الإدارة العامة للآثار والمتاحف في الموقع نفسه، والذي قدر بـ ٢٨٠م، والذي استنتج باستخدام طريقة كربون ١٤ في تحليل مكونات تلك الطبقة.(٣٨)

ومن هذا المنطلق، وبشيء من الحيطة التي يفرضها المنهج العلمي، فإن المستوى الثالث يمثل حدًّا تاريخيًا ابتدائيًا لفترة إشغال المستويات التي تليه (المستويان الثاني والأول) وحدًّا تاريخيًا نهائيًّا للمستوى الذي سبقه (الرابع). وعليه، فإن بإمكاننا إرجاع المستوى الرابع إلى فترات لا نملك الدليل الكافي لتحديدها ولا نستطيع الجزم ببدايتها، إلا أنها حتمًا كانت قبل القرن الثالث الميلادي أما المستويات الثالث فالثاني فالأول، فتبدأ من القرن الثالث الميلادي وتستمر حتى ظهور الإسلام حسبما تؤكده المصادر الإسلامية.

وإذا جاز لنا أن نفترض تاريخًا نسبيًا لبداية استيطان جرش، فإن القرن الثاني قبل الميلاد يعتبر أنسب فترة لذلك، إذ أنها الفترة التي شهدت تحولاً ملحوظاً في طرق التجارة خلال تلك الفترة. لاسيما بعد سيطرة البطالمة على الملاحة في البحر الأحمر، ثم تمكنهم من الاتصال مباشرة بالهند، الأمر الذي أدى إلى اضمحلال الدور الذي كان يلعبه العرب في التجارة البحرية، ومن ثم اتجاههم إلى التركيز على التجارة البرية.(٣٩)

أما عن فخار المستوى الرابع ومدى الاستفادة منه في تأريخ الطبقة التي وجد فيها، فالأمر لا يخلو من مجازفة علمية، إذ أن الكسر التي عثر عليها في تلك الطبقة لا تخرج عن نمط فخار الجزيرة العربية القديم، وهو نمط — كما أسلفنا — استمر فترة طويلة منذ بداية الألف الأول قبل الميلاد، وقد وجد في حريضة،(٤٠) وحجر بن حميد،(٤١) ونجران والفاو في بداية مراحلها،(٤٢) ولم يدخل عليه مميزات — لا في الصناعة ولا التشكيل — يمكن أن يعوَّل عليها في وضع تسلسل تاريخي chronology يعتمد عليه بشيء من الاطمئنان.

---

(٣٨) زارينس وآخرون، «برنامج،» ص٢٥.

(٣٩) نصحي، *تاريخ مصر*، ص٥٧.

(٤٠) Thampson, pp. 115-31.

(٤١) Van Beek, pp. 79-82.

(٤٢) البرغوثي وآخرون، «تقرير،» ص٣.

الاستنتاجات

سبق أن أشرنا إلى أن جرش كانت إحدى المدن الرئيسة في ممالك جنوب الجزيرة العربية في فترة ما قبل الإسلام، وأوضحنا كذلك إلى كونها إحدى محطات القوافل التجارية، ولم تقتصر أهميتها على فترة ما قبل الإسلام، بل حافظت على تلك الأهمية خلال القرون الأولى من التاريخ الإسلامي.

وبنظرة عامة على خصائص المادة الفخارية الموصوفة في الصفحات السابقة يظهر لنا، وبوضوح تام، أنه لا يخرج من إطاره العام عن فخار جنوب الجزيرة العربية القديم، سواء في مادته وعناصر تكوينها أو وظائفه واستعمالاته، ولا شك أن هناك بعضًا منه ينفرد بخصوصيات جزئية دقيقة تضفي عليه طابعًا محليًا بحتًا، وقد لوحظت تلك الفوارق في نواح متعددة بدءًا من إعداد العجينة وانتهاء بالزخارف والحرق. وهي أمور في غاية الدقة، لا سبيل إلى التنصل منها، لاسيما إذا كانت الدراسة مختصة بموقع بحد ذاته. أما ونحن بصدد مقارنة بين موقعين يفصل بينهما بعد جغرافي وعوامل بيئية، فسنركز على الخصائص العامة — والتي أشرنا اليها سابقًا — ومدى توافقها أو تباينها.

فخار اللقى السطحية

تعتمد فرضيات الدراسات الأثرية hypothesis إلى حد كبير على الملتقطات السطحية، ولأهميتها فقد ابتكرت طرق عديدة هدفها تغطية أكبر قدر من مساحة الموقع في عملية التقاط العينات sampling، بصرف النظر عن كثافة تلك الملتقطات في جزء وندرتها في أجزاء أخرى، وهي طريقة اصطلح على تسميتها من قبل المتخصصين بـ sampling strategy.

ومن المآخذ على هذه الطريقة أن الملتقطات السطحية لا تعكس بالضرورة حالة الموقع في طبقاته السفلى، ولا تمثل أيضًا نمطًا استيطانيًا معينًا، وطالما اختلط القديم منها بالحديث، والجيد بالرديء، والمحلي بالمستورد، وهي أمور يدركها ويميز بينها المتخصص المتمرس في هذا الحقل.

ومن هذا المنطلق رأيت أن أصرف النظر عن إدراج الملتقطات السطحية ضمن نتائج هذه الدراسة.

ا ـ وبنظرة شاملة نلاحظ أن قائمة الأشكال في الطبقات كافة اقتصرت على :

١ ـ الجرار .

٢ ـ قدور الطبخ .

٣ ـ الزبديات .

إضافة إلى إبريق كمثري الشكل وجدت كسره في الطبقة الرابعة المبكرة . ونلاحظ كذلك أن الجرار أسطوانية في مجملها ، في حين تتميز قدور الطبخ بالشكل المستوي والكروي ، وفي حين يمثل الشكل نصف الكروي معظم الزبديات .

ب ـ تتميز بنيات معظم الأواني الكبيرة بخشونة عجينتها ، وتتكون مواد تقوية العجينة temper من التبن والقش ، في حين تقل هذه المقويات في عجائن الزبديات الأقل خشونة ، وعوضًا عنها استخدمت ذرات الرمل الصغيرة والكلس .

جـ ـ أما الصناعة ، فقد تنوعت واستخدم الفخاري طرقًا عديدة في تشكيل أوانيه ، وذلك تبعًا لنوع الآنية ، فالجرار نفِّذت بطريقة اللفائف الحبلية coiling ، واستعملت المطرقة والسندان paddle and anvil في عمليات تماسك اللفائف ، واستعملت كذلك طريقة الشرائح slab. في حين استعمل السطح الدوار turn table في صناعة الأواني الصغيرة كالقدور والزبديات ، وهي بدوارات إما سريعة أو بطيئة ، واستعمل كذلك العجلة wheel إلا أنها لم تكن شائعة الاستعمال .

د ـ المعالجة السطحية : اقتصرت على بطانة نفذت بالتمليس الذاتي الرطب قبل الحرق wet-smoothing على الجرار كافة ، في حين أضيفت طبقة من المغرة الحمراء red ocher على سطوح القدور ، وتنفرد الزبديات بصقل سطوحها الداخلية .

هـ ـ يلاحظ ندرة الزخارف على الفخار في مختلف الطبقات ، فالطبقة الأولى أمدتنا بزخرفة عبارة عن حزين خفيفين بوضع أفقي على سطح إحدي أواني الطبخ ، إضافة إلى حزين أفقيين تعلوهما زخرفة متموجة على بدن إحدى الزبديات ، والطبقة الثانية تنعدم الزخارف في فخارياتها باستثناء زخرفة متموجة لإحدى الجرار .

والطبقتان الثالثة والرابعة تسيران بالنمط نفسه ، اللهم إلا ظهور بعض الخطوط الأفقية أو المتموجة على سطوح الأواني ، والتي لا تعكس حرصًا من الفخاري في تجميل صناعته ولا تدل على شيوع الزخرفة الفخارية في صناعة جنوب الجزيرة على وجه العموم .

أما الفخار المزجج ، فقليل مقارنة بالفخار العادي بل ونادر، ولم يعثر منه على شواهد في مختلف مستويات الحفر في التل الكبير الذي تمت فيه المجسات من ١-١٣ ، وانحصر وجوده في المجسين ١٦ و ١٧ ، وهو من النوع المطلي باللون الأزرق والمزخرف بطريقة الترشيش، الذي تتميز به فترة العصر العباسي، مما يؤكد أن بعض أجزاء الموقع هجرت في حين استمر الاستيطان في أجزاء أخرى منه .

و ـ أكدت الدراسة شيوع استعمال العجلة في صناعة فخار جنوب الجزيرة العربية قبل الإسلام سواء في جرش أوفي الفاو، الأمر الذي أنكر Van Beek وجوده كما أسلفنا .

ز ـ أمدتنا قطعة العملة الرومانية بتأريخ تقريبي للموقع ابتداءً من المستوى الثالث، والذي قدِّر له النصف الثاني من القرن الثالث الميلادي . ويتفق ذلك مع التقدير الذي توصلت إليه حفريات الإدارة العامة للآثار والمتاحف، ويتفق أيضًا مع النتائج التي توصل إليها قسم الآثار والمتاحف بكلية الآداب بجامعة الملك سعود من خلال حفرياته في الفاو.

ح ـ تظل فترة القرون الأخيرة قبل الميلاد والقرنين الأول والثاني الميلاديين غير واضحة المعالم، إلا أن الدلائل التاريخية تشير بطريقة غير مباشرة إلى أن الموقع كان مأهولاً بالسكان، وبالتالي فلابد وأنه كان يمارس الدور نفسه منذ تلك الفترة.

Analytical Study of Pottery Samples from the Archeological Site of Jurash, South West Saudi Arabia

AbdulKareem A.S. Al-Ghamedi
Assistant Professor, Department of Archaeology and Museology,
College of Arts, King Saud University,
Riyadh, Saudi Arabia

Abstract. This paper deals with specimens of pottery excavated in 1980 at Jurash, Asir region, south west Saudi Arabia. They were subjected to detailed analysis in terms of manufacturing techniques, forms, surface finish, decorative patterns and some aspects of stylistic variations. Having established the pottery types and sequence, the specimens were compared to corresponding specimens excavated at al-Faw and Najran, both of which are known to have better chronology. A Roman coin recovered during the excavations provided additional evidence for a suggested date of about the second century B.C. for Jurash.

مجلة جامعة الملك سعود، م٨، الآداب (٢)، ص ص ٤٤٩ - ٤٩١ (١٤١٦هـ / ١٩٩٦م).

منصور بن جمهور: موقفه من الأحداث السياسية في أواخر العصر الأموي

صادق أحمد داود جوده
أستاذ مشارك، قسم العلوم الاجتماعية، كلية الآداب والعلوم،
جامعة عمان الأهلية، عمان، الأردن
(قدم للنشر بتاريخ ١٤١٥/١/٩هـ، وقبل للنشر بتاريخ ١٤١٥/٩/٧هـ)

ملخص البحث. تهتم هذه الدراسة بأمير يمني عاش في نهاية الخلافة الأموية وشهد الاضطرابات التي أودت بها، وأقامت الخلافة العباسية، وأقصد به الأمير منصور بن جمهور الكلبي الذي ترك بصمات واضحة على الحوادث آنذاك.

وقد اتضح أثره خلال فترة حكم الوليد بن يزيد بن عبدالملك المضطربة (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٣-٧٤٤م)، ولكي يحقق له مجدًا شخصيًا فإنه انضم إلى قوات الأمير الأموي، يزيد بن الوليد بن عبدالملك، الذي قاد ثورة ضد ابن عمه الوليد بن يزيد. ولقد نجح منصور بن جمهور في القيام بدوره بدقة، حتى قتل الوليد وانتهت خلافته.

ولما اعتلى يزيد بن الوليد سدة الخلافة كافأ الأمير منصور على إخلاصه فولّاه العراق. وقد ظل منصور عونًا ليزيد بن الوليد (١٢٦هـ/٧٤٤م)، ولأخيه إبراهيم من بعده (١٢٧هـ/٧٤٥م)، حتى اعتلى مروان بن محمد، آخر خليفة أموي، عرش الخلافة (١٢٧-١٣٢هـ/ ٧٤٥-٧٥٠م).

وليحقق منصور بن جمهور مزيدًا من المكاسب الشخصية، فإنه ساند كل الخارجين على مروان بن محمد في كل الأماكن، إلى أن انهزم شرقًا إلى السند. وفي السِنْد أصبح واليًا أمويًا بالقوة، وظل حتى قيام الدولة العباسية، فاعترف به الخليفة عبدالله السفاح واليًا، ثم قتله عام ١٣٤هـ/٧٥٢م.

مـدخـــل

شهدت السنوات الأخيرة من عمر الدولة الأموية قلاقل واضطرابات، تفاعلت مع بعضها البعض، وعملت أخيراً على إسقاط الدولة الأموية وإقامة الدولة العباسية على أنقاضها.

وكان موت هشام بن عبدالملك عام ١٢٥هـ/ ٧٤٣م[١] بداية النهاية للدولة الأموية، ومن يمعن النظر في تاريخ الأمويين يجزم أن بداية النهاية تعود إلى بداية القرن الثاني الهجري، أيام الدعوة العباسية المضادة للحكم الأموي برمته.

وقد اتهم عهد الوليد بن يزيد بن عبدالملك، الذي خلف عمه هشامًا، ١٢٥ ـ ١٢٦هـ/٧٤٤م، بأنه عهد الفوضى والاضطراب والقلق، وأن الوليد كان غير متوازن في تصرفاته وأفعاله، فقد انصرف إلى اللهو واللعب والعبث بمقدرات الخلافة، وانساق وراء شهوته فعاقر الخمر واقترف الزنا واللواط دونما وجه حق، وتنكر للشريعة الإسلامية، ورويت عنه أشياء كثيرة تدل على فسقه وفجوره، وتهاونه في أمور الدين، حتى أنه حاول أن يقيم قبة فوق الكعبة يمارس فيها فجوره ولهوه أثناء حجه،[٢] وقبل استخلافه. ومن يتمعن في هذه التهم، يستنتج أنها ظالمة وأن الخليفة هشام بن عبدالملك الأموي، عم الوليد كان يقف وراءها، فقد كان يطمع في ولاية العهد لولده مسلمة بدلاً من ابن أخيه الوليد، ولي العهد الشرعي، ولما لم يستطع ذلك، أخذ يلصق به التهم جزافًا.[٣] وقد استغل اليعقوبي[٤] هذا الوضع وروَّج لهذه التهم، وردَّدَها بعده الحاقدون من بني العباس وغيرهم على بني أمية بشكل عام، وعلى الوليد بن يزيد بشكل خاص، الأمر الذي عمل على تشويه تاريخ بني أمية برمته.[٥]

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الأمم والملوك*، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٣٨٤هـ/١٩٦٥م)، جـ٧، ص٢٠٠.

(٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٠٩ وما بعدها؛ أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب، اليعقوبي، *تاريخ اليعقوبي* (بيروت: دار صادر، د.ت.)، جـ٢، ص٣٣٣؛ محمد بن مكرم المعروف بابن منظور، *مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر*، تحقيق أحمد راتب حموش، ومحمد ناجي العمر، ط١ (دمشق: دار الفكر، ١٤٩٢هـ/ ١٩٨٩م)، جـ٢٦، ص٣٧١.

(٣) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، *تاريخ الأمم والملوك*، ط٢ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م)، جـ٤، ص٢٢٢ وما بعدها.

(٤) *تاريخ اليعقوبي*، جـ٢، ص٣٣٣.

(٥) حسين عطوان، *الوليد بن يزيد عرض ونقد* (بيروت: دار الجيل، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، ص ص٢٩٨، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦.

ومما يزيد هذا الاستنتاج وضوحًا، أن المؤرخين المتأخرين قد تنبهوا لهذه القضية، ولم يسيروا فيها إلى النهاية، فتحير فريق منهم، ولم يقطع فيها برأي،(٦) في حين توقف فريق آخر عن القبول بها ورفضها صراحة في الماضي والحاضر.(٧)

---

(٦) عطوان، *الوليد بن يزيد*، ص٣٣٦، وأخذ عن محمد بن شاكر الكتبي، *عيون التواريخ*، مخطوطة (دمشق: المكتبة الظاهرية رقم ٤٥ تاريخ)، جـ٥، الورقة ١٩ ظ، نصًا يقول: «ربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال، والله أعلم.»؛ عفيف الدين عبدالله بن أسعد اليافعي، *مرآة الجنان وعبرة اليقظان*، تحقيق عبدالله الجبوري، طـ١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م)، جـ١، ص٢٨٩، ويقول: «ذكروا عنه أشياء قبيحة في الدين والعرض أكره ذكرها والله أعلم بذلك»؛ أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ابن كثير القرشي الدمشقي، *البداية والنهاية*، طـ٦ (بيروت: مكتبة المعارف، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م)، جـ١٠، ص٦. وذكر بعد أن قال بمجاهرته للمعاصي وانتهاك محارم الله تعالى: «وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال من الدين فالله أعلم،» وهو قول الكتبي السالف الذكر.

(٧) عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن الأثير، *الكامل في التاريخ*، مراجعة وتصحيح محمد يوسف الدقاق، طـ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م)، جـ٤، ص٤٨٦، وقال: «وقد نزه قوم الوليد مما قيل فيه وأنكروه ونفوه عنه وقالوا: إنه قيل عنه وألصق به وليس بصحيح»؛ عطوان، *الوليد بن يزيد*، وقد نقل نصًا لأبي عبدالله محمد بن أحمد الذهبي، *تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام* (القاهرة: مكتبة القدسي، د. ت.)، جـ٥، ص١٧٩، والنص يقول: «لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة»؛ عبدالرحمن بن محمد بن خلدون، *تاريخ ابن خلدون*، مراجعة سهيل زكار، طـ١ (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م)، جـ٣، ص١٣٢، والنص يقول: «لقد ساءت القالة فيه كثيرًا وكثير من الناس نفوا ذلك عنه وقالوا: إنها من شناعات الأعداء ألصقوها به»؛ أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي، *النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة*، قدم له وعلق عليه محمد حسين شمس الدين، طـ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م)، جـ١، ص٢٩٨، ويقول ابن تغري بردي: «ذكر عنه بعض أهل التاريخ أمورًا استبعد وقوعها»؛ عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي، *تاريخ الخلفاء*، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد (القاهرة: طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد، د.ت.)، ص٢٥١، وقال: «لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك»؛ عطوان، *الوليد بن يزيد*، ص٣٣٦، وقد جمع عطوان فصولا قيمة تضم أخبار الوليد بن يزيد، منذ ولادته، وحتى مقتله وما تلا ذلك من أحداث، ودرسها دراسة منهجية وافية، أخضع فيها الروايات للنقد الظاهري والنقد =

ولما استخلف الوليد انساق وراء الضرب على نغمة العداء القيسي اليمني، ومال إلى القيسيين ضد اليمنيين، مما جعل الآخرين يعملون بجد، للخلاص منه، وقاد الثورة ضده الأمير الأموي الخليفة يزيد بن الوليد بمساعدة اليمنيين، وفي مقدمتهم الأمير منصور بن جمهور الكلبي وأطاحوا به، وقتلوه عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م، واستخلف الأمير يزيد بعد ذلك.(٨)

وكانت فترة حكم يزيد بن الوليد استكمالاً للفترة المضطربة في حياة الدولة الأموية، إلا أنها لم تتجاوز(٩) العام على الرغم مما وصف به يزيد من الزهد والورع والتدين وميل الناس إليه.(١٠)

وكان يزيد غيلانيا قدريا،(١١) الأمر الذي جعل أصحاب الفكر القدري يساندون

= الباطني، وأثبت أن ما نسب للوليد من أعمال، وما ألصق به من تهم باطلة إلى حد بعيد؛ محمد بطاينة، «حول مصرع الوليد بن يزيد بن عبدالملك،» *مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض*، م٥ (١٩٧٧ - ١٩٧٨م)، ص ص٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٨.

(٨) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٣١، ٢٣٧، ٢٥٢؛ محمد بن مكرم بن علي بن منظور، *مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر*، تحقيق مأمون صاغرجي، طـ١ (دمشق: دار الفكر، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م)، جـ٢٥، ص٢٥٥.

(٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٩٨.

(١٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٣٢، وذكر تواضع يزيد بن الوليد ونسكه وميل الناس إليه.

(١١) الغيلانية، نسبة إلى غيلان الدمشقي الذي كان رأس القدرية في بلاد الشام. إنه قبطي مصري، أسلم وقدم الشام وسكنها، وأخذ القول بالقدر عن معبد الجهني البصري، عندما زار دمشق في العقد الثامن من القرن الأول الهجري، وتقوم فلسفة فكره على حرية الإنسان فيما يعمل من خير أو شر، وكان يرى أن الخلافة حق لكل المسلمين بلا استثناء، وكان كذلك يرى أصول المعتزلة الخمسة: (التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، العقل، القول بالمنزلة بين المنزلتين). وعلى هذا، فالقدرية فرقة دينية سياسية ظهرت في النصف الثاني من القرن الأول الهجري في بلاد الشام، واهتمت بمسائل سياسية ودينية، واجتماعية واقتصادية، انظر: أبو الحسن علي بن الحسين، المسعودي، *مروج الذهب ومعادن الجوهر*، طبعة محمد محيي الدين عبدالحميد، طـ٤ (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م)، جـ٣، ص٢٣٤؛ شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبدربه الأندلسي، *العقد الفريد*، تحقيق عبدالمجيد الترحيني، طـ١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م)، جـ٥، ص١٩٦ وما بعدها؛ عزالدين علي بن أبي الكرم محمد بن =

حكمه وبخاصة وأنهم قد تعرضوا للقتل والاضطهاد أيام الخليفتين هشام والوليد.[١٢] ولما كان الأمير منصور بن جمهور غيلانيا قدريا انحاز إلى جانب يزيد بن الوليد، وساعده في ثورته على الوليد بن يزيد.[١٣]

وجاء إبراهيم بن الوليد بعد أخيه يزيد خليفة لمدة لم تتجاوز نصف العام، حيث ثار عليه مروان بن محمد، والي الجزيرة وأرمينيا، واعتلى عرش الخلافة الأموية عام ١٢٧هـ / ٧٤٥.[١٤]

ويعتبر عهد إبراهيم وعهد أخيه يزيد من قبل، عهد التسامح مع اليمنيين والغيلانيين القدريين، في حين سلك الخليفة الجديد مروان بن محمد سلوكًا مغايرًا، مما زاد في أسباب القلق والتوتر في الدولة الأموية آنذاك. وشغل الخلافة عن مراقبة ما يجري على الساحة الداخلية والخارجية. وكل هذا كان في صالح الدعوة العباسية التي باتت تكسب الأنصار والمؤيدين في شرق الخلافة الأموية، والتي أوشكت على إعلان ثورتها. ووصل مروان بن محمد، الذي تصدى لمشكلات كثيرة، إلى درجة لم يكن معها قادرًا على التصدي لقوات

= محمد بن عبدالكريم، ابن الأثير، *الكامل* (بيروت: دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٥م)، جـ٥، ص٢٩٥؛ أبو عبدالله شمس الدين محمد بن أحمد الدمشقي، الذهبي، *العبر في خبر من غبر*، تحقيق صلاح الدين المنجد، ط٢ (الكويت: وزارة الإعلام، ١٩٨٤م)، جـ١، ص١٦٢؛ حسين عطوان، *الفرق الإسلامية في بلاد الشام في العصر الأموي*، ط١ (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٦م)، ص ص٣٤، ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٦٥، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨.

(١٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٣٢، ٢٣٣، ٢٧٠، ٢٩٥.

(١٣) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧٠. وذكر أن سبب انضمام الأمير منصور بن جمهور إلى صفوف يزيد بن الوليد بن عبدالملك، كان لأن يزيد كان غيلانيا مثله، وحمية لمقتل خالد بن عبدالله القسري اليمني مثله، أيام الخليفة الوليد بن يزيد بن عبدالملك المقتول.

(١٤) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٩٨-٢٩٩، وذكر الطبري أن يزيد بن الوليد توفي في ٢٠ ذي الحجة عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م، وتولى أخوه إبراهيم الخلافة بعده مباشرة وبقي حوالي أربعة أشهر، وكان عهده مضطربا، وخلع في ربيع آخر عام ١٢٧هـ/٧٤٥م.

الثورة العباسية، مما زاد في مصاعبه كخليفة، وأفقده حياته وعرش بني أمية فيما بعد، ١٣٢هـ/ ٧٥٠م.[١٥]

وفي وسط هذا الجو القلق، برز نفر من أصحاب الأطماع، وأخذوا يعملون على تحقيق مكاسب لهم على حساب الخلافة في بقاع شتى، مما زاد متاعبها وعجّل بانهيارها، ومن أولئك النفر الأمير منصور بن جمهور الكلبي.

منصور بن جمهور

يعود منصور في نسبه إلى قبائل العرب اليمنية، فهو منصور بن جمهور بن حسن بن عمرو بن خالد بن حارثة بن جابر بن العبيد بن عامر بن بكر بن عامر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات،[١٦] سكن قرب دمشق بالمزة، والتي هي الآن من أحياء دمشق الكبرى الجميلة.

ومما جاء في كتب النسب،[١٧] نلاحظ أن منصور بن جمهور كريم النسب. فأخذ أجداده، رفيدة بن ثور بن كلب بن وبرة، وهو بطن عظيم في اليمن، وبنو عامر بن عوف بن بكر بن عوف بن عذرة بن زيد اللات بن رفيدة من بطون اليمن العظيمة. وتزعم هذه الرواية التي أوردها ابن حزم أن أحد الكهان قد تنبأ لعمرة بنت عامر بن الظرب العدواني، والتي ولدت عامر بن عوف، وأخاه عامر بن صعصعة بالشهرة والحياة على يدي وليديها المذكورين.[١٨] وعلقمة بن وائل بن مروان بن زهير الذي ينتهي نسبه بعامر بن

---

(١٥) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٤٣٧-٤٤٢، وذكر الطبري أن مروان قتل يوم ٢٧ ذي الحجة من عام ١٣٢هـ.

(١٦) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، تحقيق لجنة بإشراف الناشر، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص٤٥٨؛ أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب، ابن الكلبي، *نسب معد واليمن الكبير*، تحقيق ناجي حسن، ط١ (بيروت: عالم الكتب، ومكتبة النهضة، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، جـ٢، ص٦١٥؛ خير الدين الزركلي، *الاعلام* (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠م)، جـ٧، ص٢٧٨؛ شاكر مصطفى، *دولة بني العباس* (الكويت: وكالة المطبوعات، ١٩٧٣م)، جـ١، ص٢٤٧.

(١٧) ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ص ص٤٥٨، ٤٥٩.

(١٨) ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ص ص٤٥٨، ٤٥٩.

عوف، كان مشهورًا في تاريخ الإسلام، فقد كان على مغانم المسلمين يوم اليرموك، إلا أنه انحاز آخر الأمر إلى الروم، ودخل بلادهم وتَنَصَّر.[١٩] وينفرد ابن حزم في هذه الرواية ولم يورد سبب تنصُّره، مما يجعلنا نعمل العقل علنا نلمس شيئًا من الحقيقة في هذا الموضوع. لذا فإننا نقول ربما كان سبب تنصره خلافه مع أصحابه حول توزيع الغنائم، أو أن جبلة بن الأيهم الغساني كان له دور في تنصره بعد أن أسلم وارتد عن الإسلام واشترك في موقعة اليرموك مع الروم، فعمل على تنصير من يقدر على تنصيره ومنهم علقمة بن وائل إن صحت الرواية، وإلا فالرواية يعتريها الشك، وبخاصة أن علقمة كان على المغانم وهو مركز لا يتولاه إلا من حسن إسلامه. والأبرش سعيد بن بكر بن عبد قيس الكلبي، الذي يعود بنسبه إلى عامر بن عوف، كان وزيرًا للخليفة هشام بن عبدالملك، الخليفة الأموي المتوفى عام ١٢٥هـ / ٧٤٣م، ولا يخفى ما لمركزه من الأهمية.[٢٠] ودحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الذي يعود بنسبه إلى عامر أيضًا كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، والذي كان جبريل عليه السلام يأتي الرسول على هيئته، رضي الله عنه.[٢١] والبياع بن قيس بن عبدملك بن مخزوم، والعائد في نسبه إلى عامر بن عوف كذلك، كان فارسًا مشهورًا أغار مرات كثيرة على بطون بكر بن وائل، كان آخرها أيام علي بن أبي طالب رضي الله عنه.[٢٢] والحكم بن عوانه[٢٣] بن عياض بن وزير بن عبدالحارث بن أبي حصن بن ثعلبة بن خيبري بن سلمة بن عامر بن عبدود بن عوف بن كنانة بن عوف بن عذرة بن زيد اللات،

---

(١٩) ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ص ص٣٧٢، ٤٥٨، ٤٥٩؛ أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، *كتاب الفتوح*، ط١ (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م)، جـ١، ص ص٢٤٤، ٣٠٥، ٣٠٩.

(٢٠) أبو بكر محمد بن الحسن، ابن دريد، *الاشتقاق*، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٣٨٧هـ/ ١٩٥٨م)، ص٥٤١، وقال: دحية، من دحا المكان إذا اتسع.

(٢١) ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ص ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٢٢) ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ص ص٤٥٨، ٤٥٩.

(٢٣) اليعقوبي، *تاريخ اليعقوبي*، جـ٢، ص٣٢٤؛ ابن الكلبي، نسب معد، جـ٢، ص٦٢٦، ورجح المحقق في الهامش أن الصحيح هو عوانة بن الحكم، وليس الحكم بن عوانة؛ أحمد بن يحيى بن جابر، البلاذري، *فتوح البلدان*، مراجعة وتحقيق رضوان محمد رضوان (بيروت: دار الكتب =

ولى السند للأمويين وكان نعم الوالي لا يجارى. وأسامة بن زيد بن حارثة بن شراحبيل بن عبدالعزى، ينتهي نسبه إلى زيد اللات، ولا يخفى على كل ذي بصيرة مركز أسامة في نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم.(٢٤)

جهود منصور بن جمهور في القضاء على الخليفة الوليد بن يزيد

ومن خلال ما ذكرناه، يظهر لنا أن منصور بن جمهور، شخصيته لها أصولها المعروفة من بين الأصول اليمنية التي اكتسبت سمعة طيبة قبل الإسلام وبعده. وبدأ نجم منصور يعلو، وأثره يتوضح في الأمور السياسية منذ أيام الخليفة الوليد بن يزيد الأموي ١٢٥ - ١٢٦هـ / ٧٤٣ - ٧٤٤م.(٢٥) ثم بدأ بالتحرك ضاربًا على نغمة العداء اليمني القيسي متعصبًا لقومه أحيانًا، وعاملاً لمصلحته أحيانًا أخرى. ومن هنا فقد قاتل مع يزيد بن الوليد والجموع المنضمة إليه، الوليد بن يزيد، وكان له دور مميز في الخلاص منه عام ١٢٦هـ/٧٤٤م. ومن يسبر أغوار نفسية منصور بن جمهور يجده نفسه أنه قد انحاز إلى جانب يزيد بن الوليد للأسباب التالية:

أولاً: كان منصور يرى رأي الغيلانية، وكان يزيد كذلك فالتقيا فكريًا. وكانت لهما النظرة نفسها في خلافة الوليد.(٢٦)

ثانيًا: أعلن منصور أنه سيثأر من الوليد وخلافته بانضمامه لصفوف يزيد بن الوليد الثائر الأموي وذلك لمقتل خالد بن عبدالله القسري اليمني، والي العراق لهشام بن عبدالملك على يد والي العراق للوليد، يوسف بن عمر الثقفي.

ثالثًا: أراد منصور أن يحقق له مكاسب شخصية من خلال الوضع القلق الذي تعانيه الخلافة الأموية بشكل عام.

= العلمية، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م)، ص٤٣٠؛ أبو الفرج، قدامة بن جعفر، *كتاب الخراج وصناعة الكتابة*، شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد للطباعة والنشر، ١٩٨١م)، ص٤٢٢.

(٢٤) ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ص٤٥٩.

(٢٥) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٧٥، ٢٧٧.

(٢٦) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧٠.

بدأ الثوار يخططون للإحاطة بالوليد بن يزيد، ويرسمون التحركات العسكرية، بقصد التخلص منه، ولكن بحذر، وكان على رأسهم منصور بن جمهور الذي كان يود آنذاك إبراز نفسه وتحقيق مكاسب خاصة له وسط الجو المضطرب، فاتصل بخالد بن عبدالله القسري، بعد عزله عن ولاية العراق، وقبل مقتله بشأن الانضمام إليه، إلا أنه لم يفلح لامتناع خالد عن الانضمام إلى صفوف الثوار.(٢٧) ولكن، كما يبدو، كان الوليد بن يزيد واعيًا لما يدور حوله، فسرعان ما اعتقل خالدًا وسلمه إلى والي العراق الجديد، يوسف بن عمرو الثقفي، فتخلص منه، مما أعطى منصور بن جمهور واليمنية مشروعية الانضمام للثورة طلبًا بثأر خالد.

وكان من حسن الطالع أن كتم خالد القسري أخبار اتصالات منصور معه، مما أفسح المجال أمام منصور وجماعته للتحرك بكل ثقة وسرية. وبعد مقتل خالد زادت صفوف منصور تراصًّا، مما شجعه على الاتصال بالأمير الأموي الذي يتمتع بسمعة دينية طيبة، وبأخلاق مقبولة لدى قطاعات عريضة بين صفوف المسلمين، وأقصد به الأمير يزيد بن الوليد، ابن عم الوليد بن يزيد الأموي، ونسق معه للعمل سويا ضد خلافة الوليد. ومما سهل الأمر أكثر أن يزيد مال بكل ثقله إلى جانب اليمنية ضد القيسية، فانضموا إليه مع الأمير منصور بن جمهور، وكذلك انضم إليه القدرية لأنه يرى رأيهم.

أصبحت الثورة أقوى من ذي قبل بانضمام منصور ليزيد وهو الشخصية الأكثر قبولاً من غيرها لدى الثوار. وأصبح على منصور ويزيد التحرك بسرعة. ولم يلتفت يزيد إلى توسلات أخيه العباس بعدم التمرد حفاظًا على تماسك خلافة بني أمية لمصلحة المسلمين

---

(٢٧) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٣٣؛ ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٥، ص ص١٨٥، ١٩٣؛ أبو حنيفة أحمد بن داود الدينوري، *الأخبار الطوال*، تحقيق عبدالمنعم عامر (بغداد: مكتبة المثنى، د. ت.)، ص٣٤٨، وذكر أبو حنيفة شعرًا للوليد بن يزيد يغمز فيه جانب اليمنيين كثيرًا، الأمر الذي جعلهم يساندون الثورة بشكل واضح، وبخاصة بعد مقتل زعيمهم خالد بن عبدالله القسري، بزعامة منصور بن جمهور؛ أبو المحاسن ابن تغزي بردي، *النجوم الزاهرة*، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية (القاهرة: دار الكتب المصرية، د.ت.)، جـ١، ص٢٨٤.

آنذاك، تحت تهديد الأمير الأموي مروان بن محمد، وإلى الجزيرة وأرمينيا فيما بعد، وبتأثير من الأمير منصور نفسه.(٢٨)

ومهما يكن من أمر، فإن جميع الفئات الحاقدة على الوليد، سواء من ثار غيرة على الدين، أو من ثار لتحقيق أهداف شخصية أمثال منصور بن جمهور وأتباعه من اليمينة والقدرية، أو من ثار من بني أمية لتعدي الوليد عليهم، أمثال آل الوليد وآل هشام، ابني عبدالملك، أو من بني عبدالقيس انتقامًا لمقتل آل القعقاع، ولاة قنسرين وحمص، أو غيرهم، فالتفوا حول يزيد بن الوليد، وعلى رأسهم منصور بن جمهور، وأقنعوه بإعلان الثورة.

اتجه منصور بن جمهور مع يزيد بن الوليد إلى دمشق، مركز الخلافة، فوصلاها ليلاً مع عدد قليل من أتباعهم، دون أن يعرف بهم رجال الوليد بن يزيد الخليفة الأموي. واتصلا على الفور برجال المزة من اليمنيين وغيرهم، ليكونوا أعوانا لهما، ثم عادا بمن معهما إلى دمشق وصادرا بيت المال، معلنين بداية الثورة الحقيقية.

ولا شك في أن جهود الأمير منصور بن جمهور كانت هي المؤثرة في مؤازرة رجال المزة لثورة يزيد، لأن الأمير منصور مقبول في أهل المزة، لقوة شخصيته، ولكون المزة مكان سكناه.(٢٩)

وكان الوضع الجديد يقتضي من يزيد العمل بسرعة بما يتفق والمعطيات الجديدة. فأعلن أن كل من ينضم إلى قوات الثورة، سيتلقى دعمًا ماليًا مقداره ألفا درهم، فقدم إليه الكثيرون. ومن ثم نظم يزيد القوات وكان نصيب الأمير منصور بن جمهور قيادة مجموعة من العناصر المقاتلة،(٣٠) وقد اتصفت أعماله بالعنف والشدة مع قوات الوليد بن يزيد، بسبب

---

(٢٨) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٣٣؛ ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٥، ص ص١٨٥، ١٩٣؛ عبدالرحمن بن خلدون، *العبر* (بيروت: مؤسسة جمال للطباعة والنشر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م)، جـ٣، ص١٠٧؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق في أخبار الحقائق*، وبذيله *تجارب الأمم* لمسكويه (طبعة مصورة، بغداد: مكتبة المثنى، د.ت.)، جـ٣، ص ص١٣٣، ١٣٤.

(٢٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٤٠.

(٣٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٤٤؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٣٨؛ خليفة العصفري بن خياط، *تاريخ ابن خياط*، تحقيق أكرم ضياء العمري، طـ٢ (الرياض: دار =

تضييق الوليد على القدرية أصحاب منصور. وسار منصور في مقدمة العناصر المؤيدة للثورة، كطليعة مقاتلة شرسة، مما يبرهن لنا على شجاعته، وتصميمه على أن يكون له شأن كبير في القتال آنذاك.(٣١)

ونظرًا لاتهام الوليد بن يزيد (١٢٥-١٢٦هـ/ ٧٤٣-٧٤٤م) بأنه قد أساء إلى مشاعر المسلمين كثيرًا، من خلال ما نسب إليه من تصرفات غير مسؤولة أحيانًا كما ذكرت المصادر، رفع معظم الثوار الساعين للخلاص من حكمه شعار الغيرة على حرمات الإسلام من أن تنتهك، مما أعطى ثورتهم حقًا شرعيًا، واعتبروها واجبًا مقدسًا،(٣٢) مما زاد من رصيدها الشعبي كثيرًا.(٣٣)

ولكن لنا أن نسأل، أين كان الخليفة الوليد وأين رجاله يا ترى؟

إن المصادر تشير إلى أن الوليد كان مقيمًا بالاغدف من أرض عمان بالأردن، ولما عرف بالأمر شاور رجاله حول المستجدات، وتبلور الرأي أن يقيم في قصر البخراء، قصر

= طيبة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ص٣٦٤؛ شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالكريم النويري، *نهاية الأرب*، تحقيق علي البجاوي (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، المجلس الأعلى لرعاية الفنون، وزارة الثقافة، ١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، جـ٢١، ص٤٨٠.

(٣١) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٤٤؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص ص١٠٧، ١٠٨.

(٣٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٠٩؛ أبو محمد عبدالله بن مسلم، ابن قتيبة، *المعارف*، تحقيق ثروت عكاشة، ط٤ (القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م)، ص٣٦٦، وذكر طرفا من مخازي الوليد المنافية للدين؛ ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٥، ص ص١٨٥، ١٩١، ١٩٢؛ ابن الأثير: *الكامل*، جـ٥، ص٢٨٠؛ أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود، *المختصر في أخبار البشر* (بيروت: دار المعرفة، د.ت.)، جـ١، ص٢٠٥؛ أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير، *البداية والنهاية*، ط٢ (بيروت: مكتبة المعارف، ١٩٧٧م)، جـ١٠، ص ص٢، ٧-٨؛ اليافعي، *مرآة الجنان*، تحقيق عبدالله الجبوري (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، جـ١، ص٢٨٩، وذكر أشياء منكرة عن الوليد؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٠٦؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٣٢.

(٣٣) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٣٧؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص ص٢١٩، ٢٩٥؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ١٠، ص ص١٦، ١٧؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٠٧؛ نبيه عاقل، *تاريخ خلافة بني أمية*، ط٤ (بيروت: دار الفكر، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ص ص٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦.

النعمان بن بشير الحصين على مسافة ثلاثة أميال من تدمر.(٣٤) وعمل على تقوية دفاعاته، دون أن يكـون لقواته بدمشق أثر يذكر، حيث كان واليها بعيدًا عنها لانتشار وباء فتاك بدمشق وضواحيها آنذاك.(٣٥)

والمهم تقدمت القوات الثائرة وفي مقدمتها منصور بن جمهور بقيادة الأمير الأموي عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك، وكان صدامًا عنيفًا شهده منصور بن جمهور ومَنْ معه من قواد الجيش المتقدم للبخراء حيث يقيم الوليد. وكانت الخسارة فادحة ومؤلمة في قوات الطرفين، وإن كانت أكثر في قوات منصور بن جمهور. وهنا تحرج موقف منصور وغيره من قادة الثوار، ويعود السبب في نظرنا إلى:

أولاً: الخسارة التي حلت بالقوات الثائرة من قبل قوات الخليفة الوليد.(٣٦)

ثانيًا: مقتل رسول الأمير عبدالعزيز بن الحجاج بن عبدالملك، وهو زياد بن حصين الكلبي اليمني، الذي أرسل في مهمة لمقابلة الوليد ورجاله في البخراء إلا أنهم قتلوه، وهذا يبرهن على أنهم ليسوا مستعديـن للتفاوض مع القوات الثائرة.(٣٧)

ثالثًا: ومما زاد الطين بلة، كما يقولون، أن العباس بن الوليد، أخا يزيد بن الوليد، قائد الثوار، قد أرسل إلى الوليد في البخراء يعلمه بأنه قادم إليه للانضمام إلى صفوفه.(٣٨)

وكـان الأمـر يقضي بأن يحال بين العبـاس بن الـوليد والانضـمام لقوات الوليد في

---

(٣٤) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٤٤؛ ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٥، ص١٩٢؛ زكريا بن محمد الأزدي، *تاريخ الموصل*، تحقيق علي حبيبه (القاهرة: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث، ١٩٦٧م)، جـ٢، ص٥٤؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص ص١٠٧، ١٠٨.

(٣٥) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٤٠.

(٣٦) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٤٤-٢٤٥؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص ص١٠٧، ١٠٨.

(٣٧) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٤٤-٢٤٥؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص ص١٠٧، ١٠٨.

(٣٨) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٤٥؛ ابن عبدربه، *العقد الفريد*، جـ٥، ص١٩٢؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٦٤؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٠٨.

البخراء، لأن لعمله هذا أثرًا مدمرًا على نجاح الثورة. ولذا قام عبدالعزيز قائد الثوار أمام البخراء بإرسال الأمير منصور بن جمهور ليتدبر الأمر، ويعمل على منع العباس بن الوليد من اللحاق بالوليد في البخراء ولو بالقوة، فقام بالمهمة خير قيام وأنقذ الموقف المتردي للثوار، مما جعلهم يتماسكون من جديد أمام الوليد وقواته.(٣٩)

وبعد ذلك أجبر العباس بن الوليد على أن يبايع لأخيه وقدم إلى عبدالعزيز قائد الثوار أمام البخراء. وهذا معناه أن جانب الثوار اشتد في حين ضعف جانب الوليد وقواته المدافعة، الأمر الذي جعله يقاتل قتال اليائس عند استئناف المعارك بين الطرفين. ولكنه لما رأى أنه أعجز من أن يقاتل القوات الثائرة دخل إلى البخراء وأغلق أبواب قصره وتأكد من أنه مقتول لا محالة.(٤٠) وأخذ الوليد لما اشتد الهجوم يقرأ ويقول: «يوم كيوم عثمان،» ولكن شتان ما بين الاثنين.

إن هذا العمل شجع الثوار على الاستمرار في القتال، فقاد منصور بن جمهور هجومًا ناجحًا على القصر، فتسلق الأسوار مع مجموعة من الرجال الأشداء، وهاجموا الوليد، وقتلوه واحتزوا رأسه، ونقل الرأس إلى يزيد بن الوليد، قائد الثورة في دمشق، على يدي الأمير منصور بن جمهور.(٤١) وكان ذلك في ٢٨ جمادى الأخرة من عام ١٢٦هـ/ ٧٤٤م.(٤٢)

---

(٣٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨، وذكر الطبري جملة تحركات منصور بن جمهور أمام البخراء، وذكر كذلك اتصالات الوليد بعبدالعزيز ابن عمه الوليد والأخ الأكبر ليزيد بن الوليد يغريه بالمال والمناصب؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٦٤؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٤١، وذكر دور منصور بن جمهور في إجبار العباس على مبايعة أخيه يزيد بن الوليد والانضمام إلى صفوف الثورة بدلاً من صفوف الوليد؛ أبو الفداء، *المختصر*، جـ١، ص٢٠٦، وركز أبو الفداء على دور منصور بن جمهور في منع العباس من الانضمام إلى صفوف الوليد؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص٤٨١.

(٤٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٨؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٢٣، ص١٠٨.

(٤١) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٤٦ ـ ٢٤٧، ٢٥٢؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٤٢؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص٤٨١.

(٤٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨؛ اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، =

منصور بن جمهور والٍ ليزيد بن الوليد على العراق

وبعد أن استتب الأمن، وصفا الجو ليزيد بن الوليد، وانقادت إليه مقاليد الأمور، أمر عبدالعزيز بن هارون بن عبدالله بن دمية بن خليفة الكلبي بالتوجه إلى العراق واليًا. ولكن الأمور لم تسر كما يجب فرفض عبدالعزيز، متعللاً بأنه لا يملك قوة عسكرية كافية لحمايته، مما جعل يزيد بن الوليد يرسل منصور بن جمهور بدلاً منه، كما ذكر أحمد بن زهير عن علي بن محمد وذكره الطبري.(٤٣) ولكن أبا مخنف قال فيما ذكره عن هشام بن محمد، إن منصور بن جمهور سار إلى العراق مباشرة في اليوم الذي قتل فيه الوليد بن يزيد. وهذا يعني التشكيك في تولية يزيد بن الوليد، العراق لمنصور بن جمهور، لأن الرواية تذكر سير منصور في يوم مقتل الوليد من البخراء إلى العراق مباشرة، دون أمر يزيد.(٤٤)

ونحن هنا أمام روايتين متناقضتين، إحداهما تقول بذهاب منصور بن جمهور إلى العراق واليا من قبل يزيد بن الوليد، وثانيتهما تقول إن منصور بن جمهور ذهب إلى العراق، دون إذن يزيد بن الوليد، وأن الأخير سكت عنه لكونه من الذين قدموا له خدمات كثيرة.

= ص٣٣٤، وذكر أن وفاة الوليد كانت في ٢٥ جمادى الآخرة، ١٢٦هـ؛ الأزدي، *تاريخ الموصل*، جـ٢، ص٥٤؛ ابن قتيبة، *المعارف*، ص٣٦٦؛ الذهبي، *العبر*، جـ١، ص ص١٦١، ١٦٢؛ اليافعي، *مرآة الجنان*، جـ١، ص٢٩٣؛ عاقل، *تاريخ خلافة بني أمية*، ص٣٤٠.

(٤٣) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٤، ص ص٢٥٦، ٢٥٩؛ ابن قتيبة، *المعارف*، ص٣٦٧؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٦٩، وذكر رواية تولية يزيد بن الوليد العراق لمنصور، ورواية أخرى تقول إن منصورًا افتعل عهدًا بولاية العراق (زور عهدا)؛ الدينوري، *الأخبار الطوال*، ص٣٤٩؛ الأزدي، *تاريخ الموصل*، جـ٢، ص٥٨؛ ابن الكلبي، *نسب معد*، جـ٢، ص٦١٥؛ أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، *وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان*، تحقيق إحسان عباس (بيروت: دار صادر، د.ت.)، جـ٧، ص١١٠؛ محمد الخضري، *تاريخ الأمم الإسلامية* (القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى، دار التحرير للطباعة والنشر، ١٩٦٩م)، جـ٢، ص٢٠٣؛ محمد أسعد طلس، *تاريخ العرب* (بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر، د.ت.)، م١، جـ٤، ص١٦٤.

(٤٤) ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٦٩؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ٧، ص١١٠؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ١٠، ص١٤؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٥١، وقد شكك في الرواية القائلة بتزوير منصور بن جمهور عهدا له بولاية العراق.

ونحن نميل هنا إلى تصديق الرواية القائلة بتولية يزيد بن الوليد لمنصور بن جمهور على العراق للأسباب التالية :

أولاً : لم تكن علاقة منصور بن جمهور سيئة بيزيد بن الوليد، بل كان أحد أركان ثورته وقائدًا فذا من قادة جيشه المتجه لقتال الوليد بن يزيد في البخراء، بل كان له دور فعال في الخلاص منه، الأمر الذي لا يجعله يخرج إلى العراق معاندًا . (٤٥)

ثانيًا : اتفاق كل من الخليفة يزيد بن الوليد ومنصور بن جمهور في الاتجاه السياسي والديني والاجتماعي، فهما قدريان، واشتركا معا في الاتجاه واعتبرا الوليد عدوهما الأول، واتفقا تمامًا على الخلاص منه وسعيا بجد ونشاط . ثم إن منصورًا شخصية مقبولة لدى يزيد، وهو بحاجة إلى أمثاله، فلا يستغني عنه في تثبيت أركان الحكم في العراق . (٤٦)

ثالثًا : ربما كان ذهاب منصور للعراق دون أمر يزيد بن الوليد إن صحت الرواية القائلة به، القصد منه إلقاء القبض على الوالي يوسف بن عمر الذي اضطهد اليمنية عصبية منصور، وبخاصة مقتل خالد بن عبدالله القسري، لأن هذه فرصته، وربما أراد منصور كسب تأييد العراق، وأخذ البيعة ليزيد قبل أن تتعقد الأمور هناك . أو ربما اعتقد منصور أنه أهل لولاية العراق، وأن عهده من يزيد هو شيء يستحقه، فتعجل قبل صدوره مع اعتقاده أن يزيد لا يمانع في هذا الأمر، بعد مقتل الوليد . (٤٧)

رابعًا : لو كان منصور قد ذهب للعراق معارضًا ليزيد، ثائرًا عليه، لظهر ذلك بسرعة، أو على الأقل لقاوم منصور عملية عزله بعد ولاية العراق لمدة قصيرة (٤٠ يومًا) . وما دام منصور بن جمهور لم يفعل شيئًا عندما أتاه أمر العزل عن ولاية العراق، وسلّم مقاليد السلطة إلى الوالي الجديد، عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز دون ضجة، فهذا يبرهن على حبه ليزيد بن الوليد وطاعته لأوامره ومساندته لخلافته، ويدعونا إلى القول بكل ثقة إن ولاية منصور للعراق كانت بأمر يزيد بن الوليد وبصفة رسمية . (٤٨)

---

(٤٥) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٣٣، ٢٤٤ ؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٢٨٣ ؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٣٢ .

(٤٦) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٤٠، ٢٧٠ ؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٢٩٥ .

(٤٧) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٥٤، ٢٧١ .

(٤٨) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٨٤، ٢٨٥ .

خامسًا: إن الرواية القائلة بذهاب منصور بن جمهور للعراق، دون موافقة الخليفة يزيد بن الوليد، وأنه زوّر عهده بالعراق ليكسب ولاء العراقيين، كوال رسمي، والتي يشتم منها روح التمرد على يزيد، لو كانت صحيحة لثار منصور على يزيد بعد عودته إلى دمشق، أو على أخيه إبراهيم فيما بعد، بل كل ما حصل أن منصورًا تقبل أمر العزل ثم ساند يزيد في خلافتـه وظل عونا له، ولأخيه من بعده، ثم انضم إلى جانب القوات التي عارضت الخليفة مروان بن محمد فيما بعد. (٤٩)

سادسًا: إن يزيد بن الوليد كان بحاجة إلى اليمنية وعلى رأسهم منصور بن جمهور، كفارس يتمتع بقدرات غير محدودة من الشجاعة والسياسة، فلا يمكن أن يستغني عنه، وربـما كان أمر استدعائه لدمشق ليكون بجانبه، ولينظم مقدرات اليمنيين، ويجعلها في خدمة الخلافة الجديدة، وبخاصة وأن العراق لم يكن آنذاك قد أصبح مركز مقاومة للخلافة كما يظهر. بعد حروب واليه يوسف بن عمر الثقفي الذي هرب لما عرف بمقتل الوليد، وقدوم ولاة يزيد. أو ربما كان منصور غير مرغوب فيه من قبل العراقيين.

سابعًا: إن المصادر التي تروي أن منصورا ربما زوّر عهده بولاية العراق، هي نفسها التي تقـول عبـارات أوصى بها يزيد بن الـوليد منصورًا باتباع أوامر العقيدة الإسلامية، والتخلي عن ظلم الناس، والإحسان إليهم، وذكره بأن الثورة على الوليد لم تكن إلا لظلمه وفسقه وخروجه عن روح الشريعة الإسلامية، وهذه العبارات لا تصدر إلا من الخليفة وعن رضى وقبول بمن يوليه أمرا من أمور المسلمين. (٥٠)

ثامنًا: يروي الطبري أن يزيد بن حجرة الغساني كان شيخا دينا فاضلاً، ذا قدر في أهل الشام، دخل على يزيد بن الوليد، لما عرف أنه ولّى منصورًا العراق، وقال له: «يا أمير المؤمنين أوليت منصورًا العراق؟ قال: نعم، لبلائه، وحسن معونته، قال: يا أمير المؤمنين، إنه ليس هناك في أعرابيته وجفائه في الدين. قال فإذا لم أولِّ منصورا في حسن معاونته، فمن

---

(٤٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٠٦، ٣١٩، ٣٢٨؛ الأزدي، *تاريخ الموصل*، جـ٢، ص ص٦٦-٦٧.

(٥٠) الـطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٧٠-٢٧١؛ ابن الأثـير، *الكامل*، جـ٥، ص٢٩٥؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص٤٩٠.

أولي! قال: تولي رجلاً من أهل الدين والصلاح والوقوف عند الشبهات، والعلم بالأحكام والحدود، ومالي لا أرى أحدًا من قيس يغشاك، ولا يقف ببابك! قال لولا أنه ليس من شأني سفك الدماء، لعاجلت قيسا، فوالله ما عزت، إلا ذل الإسلام.(٥١) هذا بالإضافة إلى كتاب يزيد لأهل العراق، والذي حمله منصور إليهم.(٥٢)

إن مثل هذه الرواية، يعضد العلاقة الحسنة بين يزيد بن الوليد، ومنصور بن جمهور الكلبي، ويثبت بلا شك، رضى يزيد عن منصور، وأنه ولاه العراق لخدماته غير المحدودة له في ثورته على الوليد بن يزيد. ثم إن رواية الطبري بخصوص أقوال يزيد بن حجرة تؤكد أنه لم يكن راضيا عن ولاية العراق لمنصور بن جمهور، لخوفه من أن لا يطبق الإسلام، كما يجب لجفائه، وغلظ طباعه البدوية، وليس لشيء غيره،(٥٣) ولا يستفاد منها قيام علاقة سيئة بين يزيد بن الوليد ومنصور. ولما تأكد ليزيد مثل هذا القول، عزل منصورًا عن العراق، فقدم إلى دمشق مساندا له ولخلافته.

وبعد، فالمهم أن منصور بن جمهور سار إلى العراق واليا، بعد أن رفض الوالي المعين قبله، عبدالعزيز بن هارون الولاية، بحجة عدم وجود قوة كافية لحمايته كما مر.

والصحيح أن هذا الوالي كان أعجز من أن يقف أمام جبروت يوسف بن عمر الثقفي، والي العراق للوليد بن يزيد، الخليفة المقتول، والذي أسرع إلى اتخاذ عدة تدابير حالما تأكد من مقتل الوليد. فقد شدد الرقابة على اليمنيين وضيق عليهم بالسجن، ثم اتصل بالمضربين، وحاول أن يغريها بالأموال والمناصب في محاولة لتوطيد علاقاته معهم، كي ينضموا إليه، فيما سيحصل من صدام متوقع مع قوات الثورة الجديدة. ولكن إجابات

---

(٥١) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ٢٧١.

(٥٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٧٥-٢٧٦.

(٥٣) مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٥٢، وجاء فيه أن منصور بن جمهور ذهب إلى العراق ومعه خمسة آلاف فارس فاستقبله العراقيون بالرفض، لأنهم توقعوا منه الظلم كسابقه الأمير يوسف بن عمر، مما جعل الصبيان ينشدون: «منصور بن جمهور أمر غير مأمور، أتى بالعهد منشور، فيه الكذب والزور.» الأمر الذي جعل يزيد بن الوليد يعزله ويأمر بقدومه إلى دمشق، فقدم منصور مسرعًا، ولو كان مزورًا للعهد لحاسبه يزيد إلا أنه لم يفعل شيئًا من هذا القبيل مما يقلل من رواية التزوير.

المضربين كانت مخيبة لآمال يوسف بن عمر، وردوا عليه قائلين: نحن من أهل الشام، نبايع من يبايع أهل الشام، وما دام أهل الشام، قد بايعوا يزيد بن الوليد بالخلافة، فنحن سنبايع معهم، ولما يئس يوسف بن عمر من استجابة المضربين، أطلق مَنْ سُجن من اليمنيين، ثم أرسل إلى مخابراته، ودعاهم إلى اليقظة والحذر، وأن عليهم تزويده بما يجد من أخبار الخلافة الجديدة، من خلال ما يتوافر لديهم، أثناء القيام برصد طريق الشام، العراق، في حين أقام هو نفسه بالحيرة، يترقب الأمر خائفًا وجلا.(٥٤)

ولما وصل منصور بن جمهور عين التمر في طريقه للعراق اتصل بسليمان بن سليم بن كيسان، أحد دعامات اليمنيين القوية بالعراق، وأرسل إليه جملة من الرسائل إلى أمراء اليمن الشاميين في العراق، يخبرهم بمقتل الوليد بن يزيد، وقيام خلافة يزيد بن الوليد، وتوليته أمر العراق، ويدعوهم في الوقت نفسه، إلى العمل على اعتقال الوالي يوسف بن عمر الثقفي، ركيزة الخلافة الزائلة، ووالي العراق للوليد المقتول.(٥٥)

هذا، وقد حفظ لنا الطبري نص الكتاب، الذي أرسله منصور بن جمهور لسليمان بن سليم بن كيسان خاصة، ولعل كتب الأمراء الآخرين لا تخرج عن مضمون هذا الكتاب. ونص الكتاب: «أما بعد، فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، وإذا أراد الله بقوم سوءا، فلا مرد له. وإن الوليد بن يزيد بدل نعمة الله كفرا، فسفك الدماء، فسفك الله دمه، وعجّله إلى النار! وولّى خلافته من هو خير منه، وأحسن هديا، يزيد بن الوليد، وقد بايعه الناس، وولّى على العراق الحارث بن العباس بن الوليد ووجهني العباس لأخذ يوسف وعماله، لا يفوتنك منهم أحدًا، فأحبسهم قبلك(٥٦) وإياك أن تخالف فيحل بك، وبأهل بيتك ما لا قبل لك به! فاختر لنفسك أو دع.»

---

(٥٤) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧١؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٢٩٥؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٠٩؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٥٢.

(٥٥) النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص٤٩٠.

(٥٦) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧١؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص ص٢٩٥-٢٩٦؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٠٩، لم يذكر نص الكتاب لا هو ولا ابن الأثير قبله.

ويشتم من هذا الكتاب أن منصور بن جمهور كان نائبًا للوالي الأصيل الحارث بن العباس بن الوليد، ابن أخي يزيد بن الوليد الخليفة الأموي الجديد. إلا أنه تصرف كوالٍ قوي الشخصية، مما يدعونا إلى القول إنه هو الوالي وليس الحارث. ثم إن الحارث لم تذكره المصادر بعد ذلك، بل غيبته، فلم تذكر أخباره في العراق. وهذا يخالف ما جاء في الكتاب الذي حمله منصور بن جمهور إلى العراقيين كافة وحفظه لنا الطبري نفسه.(٥٧)

والمهم، فلما تسلم سليمان الكتاب قرأه على يوسف بن عمر، ولم يوزع كتب أمراء اليمن الشاميين، ولعله فعل هذا ليرى رد يوسف بن عمر ويتعرف على نواياه، اتجاه الإدارة الجديدة، أو ربما أنه كان يشك في استتباب الأمور ليزيد، على الأقل في العراق. والمهم لما سمع يوسف ما جاء في كتاب منصور هذا، تحير بالإجابة، وطلب رأي سليمان. وهنا تأكد سليمان أن يوسف بن عمر قد أصبح عاجزًا عن تدبير الأمر، وأنه أعجز من أن يقاوم منصور بن جمهور. فنصحه بمغادرة العراق إلى الشام، لأنه لا إمام له يقاتل تحت لوائه. ثم إن أمراء الشام وقادتها سوف لن يكونوا معه في العراق. وإزاء هذا الوضع طلب يوسف بن عمر من سليمان أن يرشده إلى كيفية الخروج، وينصحه بأيسر الطرق وأكثرها أمنا إلى الشام، ليفلت من قبضة منصور بن جمهور، الذي يتحرق شوقًا للانتقام منه.

وكان أمر يوسف بن عمر محيرًا. فهو الوالي الصلب والمقاتل الشرس والسياسي البارع، فكيف يعجز عن تدبر الأمر، وكان الأجدر به أن يدافع عن وجوده وهو العارف بما ينتظره لظلمه اليمنيين وغيرهم، فخير له أن يموت وهو واقف يدافع عن كيانه من أن يستسلم ذليلا، ينتظر الموت في كل لحظة.

وأرشد سليمان يوسف أن يظهر أنه في طاعة يزيد ويدعو له في خطبه. فإذا قرب منصور اختفى عنده. وترك منصورًا يدير البلاد كيفما يشاء. وكان سليمان في الوقت نفسه يدرك أنه أعجز من أن يفرض رأيه على منصور بن جمهور وأن يحمي يوسف بن عمر من بطشه. فتوسط ليوسف عند الأمير الأموي عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص كي يخفي يوسف في بيته من وجه منصور بن جمهور فوافق.(٥٨)

---

(٥٧) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٧٥-٢٧٦.

(٥٨) ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٢٩٦؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص٤٩٢؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٠٩.

ولما وصل منصور بن جمهور الكوفة، نزل يوسف بن عمر دار عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص الأموي كما كان متفقًا عليه من قبل، وذلك في رجب ١٢٦هـ/ ٧٤٤م، وأخذ منصور يرقب الأمور عن كثب، ويرتب أركان إدارته، فقام بعدة إجراءات، منها:

أولًا: خطب الناس، وذكر الوليد بن يزيد، ونال منه، وبيّن تجاوزاته وأعماله المنفرة، وذكر يزيد بن الوليد ومدحه ثم ذكر يوسف بن عمر، وذكر جوره وظلمه، وتبعه عدد من الخطباء ساروا كلهم على نهجه. وكان كل ما يقال يصل إلى مسامع يوسف بن عمرو من خلال عمرو بن محمد بن سعيد الأموي. وكان يوسف يتوعد كل خطيب ينال منه، ومن الوليد بالعقاب. مما جعل مضيفه عمرو بن محمد بن سعيد يبدي التعجب مما يسمع هذا وهو خائف. الأمر الذي جعل عمرا يرثى لحاله، ويتأكد من شدة بأسه في الوقت نفسه.(٥٩)

ثانيًا: أخذ منصور بن جمهور أموال الدولة، وأخرج العطاء والأرزاق.(٦٠)

ثالثًا: لجأ منصور إلى خطوة أخرى أكثر جرأة، فأخرج المساجين، الذين سجنهم يوسف بن عمر،(٦١) مهما كانت تهمهم لا تسام عهده بالظلم.

رابعًا: أخذ البيعة ليزيد بن الوليد ممن في الكوفة، فتهافت الناس على ذلك العمل بكثرة وبهمة ونشاط.(٦٢)

خامسًا: أخذ منصور يولي الولاة على مراكز العراق، والأقاليم الشرقية التابعة له، أمثال سجستان، وخراسان والري، والسند وغيرها. فوجّه أخاه منظورًا إلى الري بدلا من نصر بن سيار، ومحمد بن غزان إلى السند وسجستان بعد أن أطلق سراحه من سجون يوسف بن عمر في العراق.(٦٣) وولّى عبيدالله بن العباس الكوفة، وقيل كان عليها فأقره،

---

(٥٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧٣؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٢٩٦؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص٤٩٢.

(٦٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧٣؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص٤٩٥.

(٦١) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧٣؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٠٩.

(٦٢) ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٢٩٧؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص٤٩٥؛ الخضري، *تاريخ الأمم الإسلامية*، جـ٢، ص٢٠٣.

(٦٣) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧٢.

وولّى ثمامة بن حوشب شرطته، إلا أنه سرعان ما عزله واستبدله بالحجاج بن أرطاة النخعي، ثم استبدل الحجاج بعبدالله بن عمر بن عبدالعزيز في شوال ١٢٦هـ / ٧٤٤م.(٦٤)

وبعد أن أخذ منصور بيعة أهل الكوفة ووّلى عليها، سار إلى واسط فجمع له الناس وبايعوا ليزيد بن الوليد.(٦٥) ثم توافد العراقيون بعد ذلك للمبايعة من شتى البقاع، وبسط منصور سيطرة الدولة على قطاعات كثيرة من العراقيين.

وأما يوسف بن عمر، فإنه بات خائفًا من أن يسلمه عمرو بن محمد بن سعيد بن العاص، أو أن يلقي عليه القبض فجأة. فأخذ يقنع عمرًا بتسفيره إلى الشام، عله يجد له مخرجًا وأنصارًا هناك. ويبدو أنه قد وصل إلى حالة نفسية سيئة، وقد وصفها لنا مضيفه عمرو بن محمد بن سعيد فقال: «فلم أر رجلاً، كان في مثل عتوه ورعب رعبه، أتيته بجارية نفيسة، وقلت تدفئة وتطيب نفسه، فوالله ما قربها ولا نظر إليها.»(٦٦)

وكان يوسف بن عمر قد أمر خمسمائة مقاتل بمفاجأة الأمير منصور بن جمهور في طريقه إلى الكوفة. إلا أن منصورًا استطاع أن ينازلهم ويجردهم من أسلحتهم بثلاثين فارسًا فقط. ولعل هذا ناتج عن أنهم قد باتوا متأكدين من أفول نجم يوسف، وأرادوا الاستسلام لينالوا رضا الأمير منصور عنهم، فتقاعسوا في القتال، أو لعله الخور، والضعف والهزيمة النفسية، وهم يرون زعيمهم، يوسف بن عمر يختبىء كالنعامة في دار عمرو بن محمد الأموي.

ولما قرر يوسف بن عمر الخروج من الكوفة، كان معه عند خروجه قليل من أمرائه، وحوالي الستين من ولده وخدمه، وذلك في رجب ١٢٦هـ/ ٧٤٤م.(٦٧) سار يوسف من الكوفة متجها إلى الشام وظل سائرًا حتى بلغ البلقاء من أرض الأردن، حيث يقيم أهله

---

(٦٤) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٧٠، ٢٨٠؛ الزركلي، *الأعلام*، جـ٧، ص٢٩٨، وذكر ولاية الحجاج بن أرطاه على شرطة منصور بن جمهور.

(٦٥) الدينوري، *الأخبار الطوال*، ص٣٥٠؛ الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧٢، وذكر الطبري أن الذي أخذ بيعة واسط حريث بن الجهم الكلبي.

(٦٦) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٣٧.

(٦٧) ابن قتيبة، *المعارف*، ص٣٦٧؛ اليافعي، *مرآة الجنان*، جـ١، ص٢٩٣ باختصار.

ومحبوه. ولكن الخليفة يزيد حالما عرف به، من خلال عيونه، أرسل إليه من أحضره إلى دمشق، بعد أن فتشوا عنه، ووجدوه متخفيًا بزي النساء، فسجنه يزيد مع الحكم وعثمان، ولدي الوليد المقتول. وظل يرسف في قيود السجن والذل حتى قتل أيام هجوم مروان بن محمد على دمشق، وقضائه على خلافة إبراهيم بن الوليد، أوائل عام ١٢٧هـ / ٧٤٥م.(٦٨)

ومن ينعم النظر في جملة الأعمال، التي قام بها الأمير منصور بن جمهور في العراق، يدرك مدى حبه ليزيد بن الوليد، وطاعته له، وتفانيه في خدمته، وشدة ولائه، بدليل أن الأمير منصورا لما أتاه كتاب العزل عن ولاية العراق، استجاب ليزيد بن الوليد بسرعة، وسلم الأمور للوالي الجديد، عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، بعد أن مكث في الولاية أياما من رجب، وشعبان، وأياما من رمضان ١٢٦هـ/ ٧٤٤م.(٦٩) وكان عبدالله بن عمر خائفًا أن يمتنع منصور عن الاعتراف بولايته، لما يعرفه عنه من الشدة، والاعتزاز بالنفس، والثقة المطلقة بها، مما دعاه إلى أن يرسل أمامه رسلاً وكتبًا إلى القادة الشاميين في العراق. وكان الأمير منصور، آنذاك، على استعداد للتسليم، واحترام إرادة الخليفة والعودة إلى الشام، وهذا هو ما حصل. ودخل عبدالله بن عمر الكوفة فيما بعد، وأمضى الأمور وفق ما يريد.(٧٠)

الأمير منصور بن جمهور، ونصر بن سيار والي خراسان

ذكرنا أن منصورًا بن جمهور، بعد أن وطد الأمن في العراق، أخذ ينظم الأمور الإدارية فيما يتبع ولايته في العراق من أقطار، فأرسل الولاة إلى الري، وخراسان،

---

(٦٨) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٧٤، ٢٧٥؛ ابن قتيبة، المعارف، ص٣٦٨؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ٧، ص١١٠، وذكر الخلاف حول موت يوسف بن عمر؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٥٢.

(٦٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٧٠، ٢٨٤؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ٧، ص١١٠؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص ص ٤٩٥ ـ ٤٩٦.

(٧٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٨٤ـ٢٨٥.

وسجستان، والسند. وكان أن أرسل أخاه منظورًا إلى الري وخرسان واليا، إلا أن واليها نصر بن سيار لم يكن على استعداد للتسليم بالأمر الواقع.[٧١] لذا لم يلتفت لهذا الأمر باحترام، بل رفضه وقرر مقاومته بالقوة، وصادف أن تحرك الأزد في خراسان، ضد نصر بن سيار، فما كان منه إلا أن اتصل بهم وخاطبهم قائلاً: «إن جاءنا أمير ظنين، قطعنا يديه ورجليه، ثم باح به بعد، فكان يقول: عبدالله المخذول المثبور.»[٧٢] وكان يقصد منظور بن جمهور، أخا الأمير منصور بن جمهور ووالي الري وخراسان الجديد.

إن هذا العمل يعتبر تحديًا للأمير منصور. وعليه أن يقف له بالمرصاد، ويفشله بكل ما أوتي من قوة، لذا بدأ بتحركات جادة للوقوف أمام نصر بن سيار الذي كان يود ألاّ يسمح لمنظور بدخول الري وخراسان والاتصال بالأزد، الذين لم يكونوا راغبين في ولاية نصر بن سيار، والذين ثاروا بزعامة الكرماني اليمني.

لجأ منصور أول الأمر إلى الطرق السلمية، فأرسل رجلاً من بلقين خراسان في مهمة تجسسية على ما يبدو، ليجمع من المعلومات ما يفيده في صراعه المحتوم مع نصر بن سيار، لكن ذلك الرجل لقي جملة من المصاعب والإهانات على يد رجال نصر، إلا أن نصرًا أحسن إليه، ونقده مبلغا من المال، ربما ليستغله هو الآخر في الحصول على معلومات مفيدة عن أوضاع الأمير منصور بن جمهور في العراق. ولما لم يستفد الأمير منصور ممن أرسله إلى خراسان، أرسل رجلين غيره، قدامة بن مصعب العبدي، ورجل من كندة إلى نصر، إلا أن الرجلين لقيا ما لقيه المبعوث الأول نفسه، فقد أهينا ثم أحسن نصر إليهما، وحاول أن يعمل قدامة لحسابه في نقل أخبار الأمير منصور والعراق وأخيه منظور. وكانت أخبار الأمير منصور قد وصلت نصرا عن طريق أحد رجاله، الذي كان قد أرسله في مهمة تجسسية إلى الكوفة، فأراد أن يعمل قدامة لصالحه مما جعله يطلق سراحه، وينقده مالا، ويحرضه على الأمير منصور وأخيه منظور قائلاً له: «أوليكم رجل من كلب؟» فقال قدامة: نعم، نحن

---

(٧١) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٧٧؛ طلس، *تاريخ العرب*، م١، جـ٤، ص١٦٤، وقال طلس إن رفض نصر بن سيار للوالي الذي أرسله منصور بن جمهور قد حرك ثورة الكرماني اليمني ضده.

(٧٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٨٠؛ الخضري، *تاريخ الأمم الإسلامية*، جـ٢، ص٢٠٣.

بين قيس واليمن، ثم قال له: كيف لا يولاهما رجل منكم؟» وذلك في محاولة لإثارته ضد منصور بن جمهور وأخيه.(٧٣)

ثم تطورت الأمور في كل من خراسان والعراق. فعزل منصور بن جمهور عن العراق، وهذا يعني فشل ترتيباته الإدارية، ومنها ولاية أخيه منظور خراسان والري. وتطورت حركة الكرماني وولده فيما بعد انتصار اليمنية، الذين كانوا يؤيدون سياسة الأمير منصور، في خراسان والري ضد نصر بن سيار، الذي ظلمهم، ثم أقرَّ الوالي الجديد عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، نصر بن سيار على خراسان وقضى على كل ما قام به الأمير منصور بن جمهور الذي عاد للشام.(٧٤)

وكان عزل منصور في صالح نصر بن سيار، فقام حالما علم بذلك، في شوال ١٢٦هـ / ٧٤٤م، وخطب الناس، وذكر منصورًا وأخاه منظورًا، وقال: «قد علمت، أنه لم يكن من عمال العراق، وقد عزله الله (يقصد منصور بن جمهور) واستعمل الطيب بن الطيب، فغضب الكرماني لابن جمهور.»(٧٥)

إن غضب الكرماني للأمير منصور بن جمهور الكلبي، جعله يتشدد في تعامله مع نصر بن سيار، فدعا إلى امتشاق الحسام والثورة، وأخذ يقوم بأعمال استفزازية ضد نصر. ولا غرابة في أن نقول إن ثورة الكرماني، كانت صدى لما لحق بمنصور بن جمهور من إهانة على يد نصر بن سيار، وإلى خراسان في أحد جوانبها، وبخاصة أن نصرًا رفض التنازل لمنظور بن جمهور، كما مر سابقا.

منصور بن جمهور وعلاقته بالخوارج

مر بنا أن الأمير منصور بن جمهور، قد عاد إلى الشام وبقي مخلصًا للخليفة يزيد بن الوليد، ولأخيه إبراهيم من بعده. ولكن لما قام مروان بن محمد بثورته على إبراهيم بن الوليد

---

(٧٣) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٠٨.

(٧٤) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٨٧؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١١١.

(٧٥) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٩١؛ النويري، *نهاية الأرب*، جـ٢١، ص ص٥٠٠، ٥٠١.

وعزله عن الخلافة،[٧٦] توجه منصور بن جمهور إلى العراق، وانضم مع إسماعيل بن عبدالله القسري أخي خالد بن عبدالله القسري، إلى جانب عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، الثائر على والي العراق، عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز،[٧٧] لكنه هزم بهزيمة عبدالله بن معاوية، فذهب منصور وصاحبه إسماعيل إلى الحيرة، حيث عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، والذي كان قد غضب لعزل إبراهيم واعتلاء مروان بن محمد لعرش الخلافة، وكان منصور يشاطره الرأي نفسه، مما قرب بينهما.

ثم تطورت أمور العراق، وأصبح النضر بن سعيد الحرشي واليا على العراق، فلم يقبل عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز بهذا الأمر، واجتمعت اليمانية حوله لغضبهم على الخليفة مروان، الذي خلع الخليفة إبراهيم واضطهدهم، بزعامة منصور بن جمهور الكلبي.

وتبلور الوضع عن معسكرين في العراق يكنان الكره الواحد للآخر، أحدهما يتزعمه عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، الوالي المعزول، ومعه اليمنية ومنصور بن جمهور، في الحيرة وجهاتها، والآخر يتزعمه النضر بن سعيد الحرشي والي العراق الجديد لمروان، والذي وصل الكوفة، وانضمت إليه الجموع المضربة ولكن فمهما كان من أمر، فإن المعسكرين قد خاضا عدة معارك دموية منذ بداية عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م.[٧٨]

وكانت الخوارج قد بثست آنذاك من تحقيق النصر في جهات الجزيرة الفراتية، وكان الضحاك قد تولى أمرها، فأراد أن يستغل الخلاف الحاصل بين المعسكرين السابقين في الحيرة والكوفة، وقدم إلى الكوفة. ولكن الأمر قد تغير بين قوى المعسكرين، فإنهما أعلنا

---

(٧٦) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٢٩٩؛ المسعودي، *مروج الذهب*، جـ٣، ص ص٢٣٣، ٢٤٧، وذكر موت الخليفة يزيد بن الوليد في ١ من ذي الحجة عام ١٢٦هـ؛ ابن خلكان، *وفيات الأعيان*، جـ٧، ص١١١؛ القلقشندي، *مآثر الأناقة في معالم الخلافة*، تحقيق عبدالستار فراج، ط١ (الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ١٩٦٤م)، جـ١، ص ص١٥٨-١٥٩، ١٦٠، ١٦١.

(٧٧) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٠٦، ٣١٨.

(٧٨) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣١٦-٣١٧.

الصلح وأزالا الخلاف بينهما، للوقوف في وجه الخوارج، وكان دور منصور بن جمهور واضحًا في ذلك.(٧٩)

ولما حصل اللقاء بين الخوارج والجيش المتحد، وعلى رأسه الأمير منصور بن جمهور، مع بقية القادة الشاميين، استطاع الخوارج إلحاق الهزيمة بهم جميعًا، وذلك في رجب من عام ١٢٧هـ/٧٤٥م. وهذا دليل على أن الخلافات بين فئات الجيش المتحد كان لها الأثر الأكبر في إحلال الهزيمة، كما هو دليل على شجاعة الخوارج وشدة بأسهم. والمهم من الأمر أن عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز هرب بعد الهزيمة إلى واسط، في حين عاد النضر بن سعيد إلى مروان يندب حظه. وكان الأمير منصور بصحبة عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز في واسط.(٨٠)

وقيل إن قوات التحالف بعد هزيمة الكوفة لجأت كلها إلى واسط ولكن من يتمعن في الأمر، يدرك أنها لم تكن على وفاق تام، إذ لم تطفأ نار العصبية بين المضرية واليمنية فحصل الخلاف حول واسط من جديد.(٨١) ولم يلمّ الشمل سوى مقدم الضحاك من الكوفة إلى واسط، ولكن التنسيق لم يكن تاما ولم تكن المعارك بين الطرفين حول واسط فاصلة، بل عبارة عن مناوشات طيلة شعبان، ورمضان، وشوال من عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م.(٨٢)

وكان دور منصور بن جمهور العسكري واضحًا حول واسط، فقد قاتل الخوارج قتالا شرسًا وفي إحدى المعارك استطاع أن يقتل قائدا فذًّا من قواد الضحاك ودعاه إلى إرسال أشرس قادته، شوالا الشيباني، وأمره أن يصل إلى باب الزاب، أحد أبواب واسط، ويحرقه في محاولة جادة للتأثير على قوات التحالف فيها، وإرهابها ثأرًا لمقتل عكرمة. ولما تم إحراق

---

(٧٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣١٦-٣١٧؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٧٤؛ عاقل، *تاريخ خلافة بني أمية*، ص٣٦٩.

(٨٠) ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٧٤؛ عاقل، *تاريخ خلافة بني أمية*، ص٣٦٩؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١١٤.

(٨١) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣٢١؛ عاقل، *تاريخ خلافة بني أمية*، ص٣٦٩.

(٨٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣٢١.

الباب تحرج موقف عبدالله بن عمر، وجماعته، فقام الأمير منصور بن جمهور ونظم قواته، وتصدى للهجوم الخارجي، ونال من رجاله.(٨٣)

وتذكر المصادر أن منصورًا بن جمهور خرج مع ستمائة فارس، وتصدى للخوارج، الذين أشعلوا النار في باب الزاب، واستطاع أن يردهم ويوقع بأشجعهم إصابات قاتلة كعبدالملك بن علقمة الخارجي، ويفلت من امرأة حاولت أن تمسك بملابسه لتطرحه أرضا عن فرسه، بعد أن شتمته وعيرته، إلا أنه نجا بنفسه منها، وأبلى بلاءً حسنًا في قتاله مع الخوارج، وفوت الفرصة على الخيبري الخارجي، الذي حاول أن يتصدى له، إلا أنه لم يفلح. وعاد منصور إلى واسط، بعد أن قام بواجبه خير قيام وأثبت شجاعة نادرة، وسجل النصر على الخوارج.(٨٤)

وبعد أن عاد منصور إلى واسط، اجتمع بعبدالله بن عمر وقال له: «ما رأيت في الناس مثل هؤلاء قط (الشراة الخوارج)، فلم تحاربهم وتشغلهم عن مروان؟ أعطهم الرضا واجعلهم بينك وبين مروان، فإنك إن أعطيتهم الرضا خلوا عنا ومضوا إلى مروان، فكان حدهم وبأسهم عليه، وأقمت أنت مستريحًا بموضعك هذا، فإن ظفروا بها كان ما أردت وكنت عندهم آمنا، وإن ظفر بهم وأردت خلافه وقتاله قاتلته جاما مستريحا ومع أن أمره وأمرهم سيطول، ويوسعونه شرًا. فقال ابن عمر: لا تعجل حتى نتلوم وننظر، فقال: أي شيء ننتظر! فما تستطيع أن تطلع معهم ولا تستقر، وإن خرجنا لم نقم لهم. فما انتظارنا بهم ومروان في راحة، وقد كفيناه حدهم وشغلناهم عنه! أما أنا فخارج لاحق بهم. فخرج فوقف حيال صفهم وناداهم! إني جانح أريد أن أسلم وأسمع كلام الله، قال: وهي محنتهم، فلحق بهم فبايعهم.»(٨٥)

وواضح هنا أن الذي غير منصور بن جمهور وجعله ينضم إلى صفوف الضحاك، بعد أن كان قاتله، هو العدو المشترك، الخليفة مروان بن محمد. فالخوارج أعداؤه، بل أعداء

---

(٨٣) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣٢٢؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٧٧ باختصار.

(٨٤) ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٧٧؛ الأزدي، *تاريخ الموصل*، جـ٢، ص ص٦٧، ٦٨ باختصار؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٧٧.

(٨٥) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٢٢، ٣٢٣.

بني أمية بشكل عام. ومنصور بن جمهور يعتبر مروان عدوا له، لأنه قضى على خلافة إبراهيم، ومال إلى جانب المضرية الذين يكرههم منصور كثيرا، ضد اليمنية قوم منصور، فالانتقام من مروان يجب أن يكون هاجس الجميع، بل وموحد كلمتهم، ومن ينعم النظر في حوار منصور بن جمهور، مع عبدالله بن عمر، والي العراق المعزول، يدرك حنكة منصور السياسية، بل بعد نظره، وحسن تدبره للأمور، فهو يرى الانضمام لصفوف الخوارج كي يتفرغوا لقتال مروان الذي انتصر للمضريين أعداء منصور، الأمر الذي زاد في حنق منصور على مروان وفضل الانضمام للخوارج نكاية به، فساعدهم ضده وقدّم لهم الأموال والعون. فإن ظفروا به وتوصلوا إلى الحكم فإنهم سيرضون عنه، وعن عبدالله بن عمر، وإن ظفر بهم مروان وقضى عليهم، فإن الجو سيخلو لمنصور وعبدالله بن عمر ويتسنى لهما قتال مروان، دون خوف من الخوارج، الذين أصبحوا قوة لا يستهان بها. ثم تظهر خبرته في الأمور القتالية والسياسية معا، عندما ذكر لعبد الله بن عمر أن الحرب بين الخوارج ومروان سيطول أمرها، ويفسح المجال أمامهما للتقوى، وتجميع الأنصار، استعدادًا لمنازلة محتملة في حال انتصار مروان على الخوارج، فما كان من عبدالله بن عمر، إلا أن لحق بمنصور بن جمهور الذي بايع الخوارج،[٨٦] وذلك في أواخر شوال عام ١٢٧هـ/٧٤٥م. وعندها أصبح النضر بن سعيد والي العراق وحيدا، فعاد إلى مروان.[٨٧]

وهنا رأى مروان بن محمد أن يوجه يزيد بن هبيرة لقتال الضحاك والخوارج، وذلك في ذي القعدة من عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م.[٨٨] والمهم انضم منصور بن جمهور إلى صفوف الخوارج واشترك مع والي الكوفة الخارجي، المثنى بن عمران العائدي، الذي تصدى لابن هبيرة القادم إلى الكوفة في جهات عين التمر في موضع يعرف بغزة، بينما كان الضحاك في

---

(٨٦) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٢٢، ٣٢٣؛ الأزدي، *تاريخ الموصل*، جـ٢، ص ص٣٦٩، ٣٧٠.

(٨٧) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٧؛ الأزدي، *تاريخ الموصل*، جـ٢، ص٦٨؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٧٨؛ عاقل، *تاريخ خلافة بني أمية*، ص ص٣٦٩، ٣٧٠.

(٨٨) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٢٨، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٩، وذكر توجه ابن هبيرة عام ١٢٨هـ، ثم ذكره عام ١٢٩هـ أيضًا.

طريقه إلى الموصل إلى أرض الجزيرة، فلم تسمح له الظروف بالاشتراك في المعركة، إلى جانب المثنى بن عمران وكانت معركة غزة معركة شرسة، تجلت عن نصر مؤزر لقوات ابن هبيرة، ومقتل المثنى بن عمران وخيرة رجاله.(٨٩)

وأصبح بعد ذلك على منصور بن جمهور أن يعود إلى الكوفة، ويعمل على تجميع القوات الموالية له وللخوارج والتصدي لابن هبيرة وقواته، ثأرًا لمقتل المثنى ورجاله. واستطاع منصور أن يجمع قوات الكوفة من جديد بما فيها من قوات يمنية ومضرية، وخرج بها إلى الروحاء ليتصدى لابن هبيرة.(٩٠) وكانت معركة الروحاء لا تقل شراسة عن موقعة غزة، واشتركت معها في النتيجة، وانهزمت قوات منصور بن جمهور وأصبحت الكوفة مشرعة الأبواب أمام ابن هبيرة. وكل هذا وعبدالله بن عمر في واسط لا يحرك ساكنا، فربما ترك الأمور على ما هي عليه، واكتفى بعلاقاته السلمية مع الخوارج، ولم يطورها إلى الأحسن بالاشتراك معهم في القتال كما فعل منصور بن جمهور.

والمهم دخل ابن هبيرة الكوفة ورتب أمورها الإدارية، وولاها عبدالرحمن بن بشير العجلي، وتوجه إلى واسط حيث عبدالله بن عمر الذي انحاز إلى رأي الخوارج. وكان الضحاك لما عرف بهزيمة قواته مع منصور، أرسل إلى جهات الكوفة عبيدة بن سوار التغلبي، لمساندة منصور بن جمهور، الذي نسق ما بين القوات استعدادًا لمعركة أخرى مع ابن هبيرة، إلا أن ابن هبيرة ترك عبدالله بن عمر في واسط، طالما أنه لم يكن ذا فاعلية آنذاك، واتجه صوب منصور وعبيدة بن سوار التغلبي، وذلك أواخر عام ١٢٧هـ/ ٧٤٥م.(٩١)

وكانت حوادث عام ١٢٨هـ/ ٧٤٦م،(٩٢) ومقتل الضحاك ضربة قوية مؤثرة لمنصور وعبيدة بن سوار الموجودين في جهات الكوفة وواسط في الصراة منذ أواخر عام ١٢٧هـ /

---

(٨٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣٢٨؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص ص٣٨٢، ٣٨٣؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١١٤.

(٩٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣٢٨؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٨٣، ويقول قائد الروحاء هو المثنى بن عمران مخالفًا غيره.

(٩١) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٢٩، ٣٥١، وقال هذا منذ عام ١٢٩هـ.

(٩٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٢٩، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، وخلط في التواريخ أعوام =

٧٤٥م. وكان منصور بن جمهور يقصد من وراء تنسيقه مع عبيدة بن سوار، وتحركه في جهات الكوفة وواسط في الصراة إيقاع ابن هبيرة في حيرة وجعله يفكر، هل يهاجم قوات منصور وعبيدة أم يهاجم قوات عبدالله بن عمر المساندة للخوارج في واسط وجهاتها؟ مما يربكه ويقلل من فاعليته.

رأى ابن هبيرة مهاجمة منصور بن جمهور وعبيدة بن سوار الموجودين في الصراة، لأنه اعتبرهما أكثر خطرًا من عبدالله بن عمر في واسط. فعسكر بالقرب منهما أياما دون مهاجمتهما. فما كان من منصور إلا أن ارتد إلى جهات الكوفة فلقيه أحد قادة ابن هبيرة فانهزم بقواته، وأقبل ابن هبيرة وعسكر بالنخيلة، بالقرب من الكوفة مدة. ثم بلغه أثناء إقامته أن عبيدة بن سوار يريد قتاله فولى على الكوفة وسار إليه.(٩٣) وهنا اختار عبيدة أحد رجاله المدعو مطاعن ليتولى قتال ابن هبيرة، والذي اختار بدوره رجلا ليقابل عبيدة وجيشه يدعى ابن التغلبية. وأسفر اللقاء عن مقتل مطاعن، مما أضعف من شأن عبيدة ومنصور بن جمهور(٩٤) وقواتهما، بل الوجود الخارجي في العراق.

وتولى قيادة مطاعن، شيبان بن سلمة الصغير. وقام عبيدة وقواته بحفر خندق يفصل بين القوات الخارجية وقوات ابن هبيرة، وإقامة جسر على نهر الصراة، واعتقدوا أن هذا في صالحهم.(٩٥)

وهنا لجأ ابن هبيرة إلى مهاجمة الخوارج فجأة في الليل، إلا أنهم انتبهوا في اللحظة المناسبة، وهبوا يقاتلون، وأخذ عبيدة بن سوار يشجعهم ويقوي فيهم روح الحماس. وفي الواقع كانت قوات الخوارج قليلة العدد وتخوض حربا انتحارية مع قوات ابن هبيرة، معتمدة على شجاعتها واستهانتها بالموت. وهنا تدخل منصور بن جمهور، وأخذ يرجو عبيدة بن سوار

= ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩هـ؛ ابن قتيبة، *المعارف*، ص ص٣٦٩، ٤١٢، وذكر مقتل الضحاك في صفر عام ١٢٨هـ؛ الأزدي، *تاريخ الموصل*، جـ٢، ص٧٢.

(٩٣) مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٦٤.

(٩٤) مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٦٥؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٨٣.

(٩٥) مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٦٤.

(٩٦) مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٦٤.

أن لا يدخل في معركة خاسرة مع قوات ابن هبيرة، وعليه أن يطاوله ليكسب الوقت. فربما يقلع ابن هبيرة عن حربه، أو ربما ينجده الضحاك بجيش يغير ميزان المعركة.(٩٦)

ولكن عبيدة لم يلتفت إلى مقالة منصور بن جمهور، واعتبره متقاعسًا ومنهزما، ولا يعتمد عليه، وقرر منازلة ابن هبيرة في عملية عسكرية شرسة، حتى النهاية فإما النصر وإما الهزيمة. وهنا استطاع ابن هبيرة أن ينال من عبيدة ويفقده حياته، مع عدد من قادة قواته، فانهزم الخوارج إلى جهات الكوفة، حيث كان منصور بن جمهور يقيم بعد خلافه مع عبيدة.(٩٧) وقد أصبح ابن هبيرة هو المسيطر على جهات الكوفة فاتجه نحو المدينة من جديد، فاضطر منصور بن جمهور إلى الهرب والخروج إلى المدائن، والتي بقى فيها عند عوف بن عتاب الحزمي، عام ١٢٨هـ/٧٤٦م، وحتى مقدم شيبان الخارجي الهارب من جهات الموصل أمام قوات مروان بن محمد الأموي والمتجه إلى فارس، فانضم إليه منصور بن جمهور وخرج معه.(٩٨)

ويقول أبو مخنف إن منصورًا بن جمهور كان يقاتل في صفوف الخوارج، فلما قتل عبيدة بن سوار، هرب واستولى على الجبل وماهين، وأخذ من هناك يمد شيبان الخارجي بالأموال، ليتقوى بها ضد مروان بن محمد الخليفة الأموي.(٩٩)

واجتمع منصور بن جمهور وشيبان الخارجي، وعبدالله بن معاوية الموجود في جهات فارس، عام ١٢٩هـ/٧٤٧م، سويا، ونازلوا جيوش مروان فانهزموا وتفرق جمعهم، وذهب كل منهم إلى جهته، فوصل منصور بن جمهور إلى السند.(١٠٠)

منصور بن جمهور وعبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه

ذكرنا سابقًا أن الأمير منصور بن جمهور الكلبي انضم إلى صفوف عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، بعد أن قامت خلافة مروان بن محمد في دمشق

---

(٩٧) مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٦٤؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٨٣.

(٩٨) ابن خياط، *تاريخه*، ص٣٨٣؛ الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣٥٠.

(٩٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٥١-٣٥٢.

(١٠٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣٧٣؛ عاقل، *تاريخ خلافة بني أمية*، ص٣٧١.

عام ١٢٧هـ/٧٤٥م. وتروي المصادر أن عبدالله هزم في ثورته أول الأمر في جهات الكوفة ومعه منصور بن جمهور، الذي هرب بعد الهزيمة إلى الحيرة، حيث يوجد عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، مما يجعلنا نقول إن منصور بن جمهور لم يكن صادق النية في انضمامه إلى عبدالله بن معاوية، بل كان انضمامه نكاية بمروان بن محمد الخليفة الجديد، وليس حبا بعبدالله بن معاوية، وإلا لو كان العكس لقاتل معه بجد ونشاط.(١٠١) وهرب عبدالله بن معاوية بعد ذلك إلى جهات حلوان والجبال، وهمذان وأصفهان والري، وهناك بدأ بتنظيم صفوفه من جديد، بعد أن تخلى عنه الأمير منصور بن جمهور، وجماعته.(١٠٢)

وعمل الأمير منصور بن جمهور في الحيرة على الانضمام إلى عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز في صراعه مع الخوارج. وقد لقي القبول وقدم خدمات عسكرية جليلة له في هذا المجال. إلا أنه عمل بعد ذلك على أن يصبح حليفا للخوارج، إثر تطور الأمور في العراق والشام عام ١٢٧هـ/٧٤٥م، وتم له ما أراد، ودخل في حلف مع عبدالله بن عمر والخوارج وأصبح أعداء الأمس حلفاء اليوم، يجمعهم العداء لمروان وهدفهم الإحاطة به وبخلافته،(١٠٣) كما ذكرنا هذا من قبل.

هذا، وقد اضطر منصور أن يقاتل بجانب الخوارج جيوش مروان في العراق بل وفي جهات الموصل، إلا أن هزيمة الخوارج آخر الأمر، وقتل زعمائهم: الضحاك والخيبري في جهات الجزيرة وسيطرة ابن هبيرة على مقدرات العراق، جعلت الأمير منصور يرحل إلى جهات الجبل وماهين، ماه البصرة وماه الكوفة،(١٠٤) وفرض سيطرته وجبى الأموال لصالحه، وذلك عام ١٢٨هـ/٧٤٦م.(١٠٥)

وقد منصور بن جمهور الدعم إلى الخوارج أيام ولاية شيبان في حربهم ضد مروان، وظل يقدم لهم كل جهد ماداموا في عداء مع مروان بن محمد. إلا أن مروان استطاع آخر

---

(١٠١) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣٠٦؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٣٢٦.

(١٠٢) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣٠٩؛ ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص ص٣٢٧، ٣٧٠.

(١٠٣) ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص ص٣٣، ٣٤، ٣٦، ٣٣٧.

(١٠٤) ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص ص٣٥٣-٣٥٤.

(١٠٥) ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص ص٣٤٨-٣٥٠.

الأمـر أن يهزم الخوارج بزعامة شيبان ويضطره إلى الهرب، من أرض الجزيرة الفراتية إلى جهات الشرق، تطارده جيوشه، بقيادة فذة، على رأسها عامر بن ضبارة.(١٠٦)

إن هذه الهزيمة التي حلت بالخوارج وهروب شيبان بمن معه إلى الشرق، خلفت أوضاعًا جديدة، فشيبان هرب إلى فارس، وكان بها عبدالله بن معاوية الجعفري الثائر على مروان ومنصور في إقليم الجبال، وهو ثائر على مروان أيضًا، فاقتضت المصلحة المشتركة أن يقـوم اتحاد ثلاثي ضد جيوش بني أمية عام ١٢٩هـ/٧٤٧م،(١٠٧) من الأمير منصور بن جمهور، وعبدالله بن معاوية الجعفري، وشيبان الخارجي. وقد كان لتصميم عامر بن ضبارة القائد العام لجيوش الخلافة في المشرق، أثر كبير في القضاء على قوات التحالف الجديد وتشتيت شمل قادته وقواتهم.(١٠٨)

منصور بن جمهور في السند، عام ١٢٩هـ/ ٧٤٧م

بعـد أن شتت عامر بن ضبارة شمل التحالف الثلاثي السابق الذكر، هرب قادة التحالف كل إلى جهة، فهرب شيبان الخارجي إلى جزيرة كاوان، ثم إلى عمان حيث قتل عام ١٣٠هـ/٧٤٨م. وهرب عبدالله بن معاوية الجعفري إلى سجستان، في حين هرب الأمير منصور بن جمهور إلى بلاد السند، وفشل معن بن زائدة، أحد قادة مروان بن محمد، في مطاردته فوصل السند سالمًا.(١٠٩)

وتعني نجـاة الأمـير منصـور ووصوله إلى السند، إفساح المجال أمامه لإقامة كيان سياسي له هناك، في ذلك القطر البعيد عن قبضة الدولة الأموية، وسط الجو المضطرب، وبخاصة وأن السند كانت معقلاً آنذاك للخارجين على سلطة الدولة. ولنا هنا أن نتساءل، لماذا اختار الأمير منصور السند دون غيرها، يا ترى؟ وللإجابة نقول:

---

(١٠٦) ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٣٥٥؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٥٣.

(١٠٧) ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص ص٣٧٠، ٣٧١؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٦٢؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٢١؛ عاقل، *تاريخ خلافة بني أمية*، ص٣٦٦.

(١٠٨) ابن الأثـير، *الكـامل*، جـ٥، ص ص٣٧١-٣٧٢؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٦٣؛ ابن خلدون، *العبر*، جـ٣، ص١٢١.

(١٠٩) ابن الأثير، *الكامل*، جـ٥، ص٣٢٦؛ مؤلف مجهول، *العيون والحدائق*، جـ٣، ص١٦٣.

١ ـ إن السند قطر بعيد عن مقر الدولة، وإرسال الجيوش إليه يكلف مالا وجهدًا ورجالاً. والوضع العام آنذاك في سائر الدولة الأموية يتسم بالفوضى، وقد أنفق مروان بن محمد جهدًا جبارًا في السيطرة على الأوضاع العامة، فأصبح في وضع لا يمكنه بسرعة القضاء على ثورة في السند البعيدة، مما أغرى الأمير منصور بالذهاب إلى هناك.

٢ ـ إن السند إقليم كثير الخيرات، يغري ذوي الأطماع بتحقيق أطماعهم بيسر وسهولة، لقلة تأثير السلطة المركزية هناك.

٣ ـ إن والي السند آنذاك هو الأمير يزيد بن عرار الكلبي اليمني،(١١٠) من عصبية الأمير منصور نفسها، مما جعله يفكر بالذهاب إلى هناك وتسلم مقاليد الأمور بمعاونته. وكان منصور بن جمهور قد أحسن إلى يزيد أمام ولايته العراق، فأطلقه من سجن يوسف بن عمر، الوالي، وأعطاه الأموال(١١١) وولاه السند، فلا يمكن إلا أن يقابله الإحسان بالإحسان، فإن لم يسلمه الولاية فإنه سيعيش مطمئنا إلى جانبه على الأقل.

والمهم أن يزيد بن عرار، والي السند، كان غير راغب في إيواء الأمير منصور بن جمهور عنده، وأنه كان على استعداد لدفع كل غال ورخيص لإبعاده، وأخذ يرقب تحركاته بحذر ويقظة حتى وصل منصور إلى مقابل المنصورة على شاطىء السند الغربي، فأرسل إليه قائلاً: «لا تبرح مكانك.» فرد عليه الأمير منصور: «إنما أردت المقام قبلك، فلا وصل الله رحمك، ولا قرب قربك، وستعلم بعد.»(١١٢)

إن هذا يعني أن منصورًا قد قرّر استعمال القوة مع قريبه يزيد بن عرار، فكان رده قويًا، دالا على قوة شخصيته المتمردة، فيه عنفوان الإرادة الحديدية التي هي من شيمة الأمير منصور. وهذا في الواقع هو تحد ليزيد، كان عليه أن يستجيب له بالإيجاب، ويأخذه على محمل الجد، ويتخذ قراره بسرعة.

لم يسكت منصور بعد ذلك ويكتفي بالكلام فقط، بل نراه قد أخذ يعد ويستعد لمقابلة الموقف المتجدد، والتعامل مع جزئياته بكل يقظة، واستطاع أن يعد إعدادًا لا بأس

(١١٠) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠.

(١١١) عبدالله مبشر الطرازي، *موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية لبلاد السند والبنجاب في عهد العرب* (جدة: عالم المعرفة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) جـ١، ص٢٤٩.

(١١٢) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠.

بها من المراكب، حملها على الإبل، وألقى بها في مياه السند، مقابل مدينة المنصورة، حيث يقيم ابن عرار.[١١٣]

وكذلك أخذ ابن عرار يعد ويستعد هو الآخر لمواجهة الموقف الطارىء، فخرج من المنصورة بجيش صغير، ظنا منه أن الأمير منصور سوف لن يحتاج إلى جيش كبير يقف أمامه ويمنعه من دخول إقليم السند ومدينة المنصورة، بل اعتقد أن مجرد ظهور جيش صغير كاف لدحر منصور وطرده. في حين أن أدنى درجات المعرفة تقول إن الأمير منصور الهارب أمام جيوش الخلافة إلى السند، قد فقد كل شيء ولم يبق شيء لديه يفقده، وهو لن يرضخ لتهديد أو وعيد من ابن عرار أو غيره، بل سيستعمل أقصى درجات العنف مع عدوه. وهذا ما برهن عنه اللقاء بين الطرفين، فكان لقاء شرسا أسفر عن هزيمة ابن عرار، ومطاردته من قبل منصور، حتى أسوار مدينة المنصورة.[١١٤]

لم يكتف الأمير منصور بما تحقق ويعمل على مصالحة ابن عرار ويتملقه، بل تقدم نحوه وقرر حصار المنصورة، حتي يستسلم له ابن عرار، بلا قيد ولا شرط، ولكن ابن عرار، بدلاً من أن يقاوم تقدم منصور بكل ما أوتي من قوة، قرر طلب الأمان وأرسل بذلك إلى الأمير منصور الذي رد عليه بقوة رافضًا طلبه، إلا أن ينزل على شرطه وحكمه، «لا أعطيك الأمان إلا حكمي.»[١١٥]

إن هذا معناه تسليم المنصورة للأمير منصور والرضوخ له، بمعنى أنه سيصبح هو الوالي الفعلي بقوة السلاح على إقليم السند. وهذا يدعوه للتخلص من ابن عرار، الذي لم يحفظ له الود، وتنكر له وقاومه، ولم يمكث الأمير منصور طويلا، ولم يتردد لحظة في الخلاص من ناكر الجميل، فأمر أن تبنى عليه أسطوانة وهو حي، فتم ذلك، وتخلص الأمير منصور منه.[١١٦]

وكان موقف يزيد بن عرار موقفا مترددًا لا يليق بوال مثله أن يقفه، وكان أمامه عدة إجراءات ممكنة للوقوف أمام الأمير منصور وردعه، بل وطرده من إقليم السند كله، ومنها:

(١١٣) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠؛ الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص ص٢٤٩-٢٥٠.
(١١٤) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠؛ الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص ص٢٤٩ - ٢٥٠.
(١١٥) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠؛ الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص ص٢٤٩-٢٥٠.
(١١٦) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠؛ الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص ص٢٤٩-٢٥٠.

١ ـ كان عليه أن يعد ويستعد ويستخدم مقدراته العسكرية كلها، فيخرج بجيش كبير، لأنه أمام فارس مغوار عرف الحروب وخططها وقاتل مع الخلافة أيام يزيد وإبراهيم، وضدها أيام مروان، بل حارب الخوارج وحارب معهم، ووصل إلى درجة عالية من الخبرة العسكرية، ولا يردعه عن غيه إلا جيش قوي كان ينقص خصمه يزيد بن عرار.

٢ ـ كان بإمكان يزيد بن عرار، أن يعلن عن ترحيبه بمقدم الأمير منصور، ويدخله المنصورة، ويتخلص منه بهدوء، وهذا ما لم يفعله.

٣ ـ كان بإمكان يزيد أن يستعدي عليه أمراء الجهات في السند ويكون منهم قوة ردع تقف أمام الأمير منصور.

٤ ـ كان الوضع العام يتطلب من يزيد أن يكون أكثر صبراً أثناء الحصار، فيطاول الأمير منصور مما يضطره أخيراً إلى طلب الصلح، والظاهر أنه ظن مخطئا أن منصور سيتسامح معه ويفك الحصار ويصبح من مواطنيه. وهذا يعني أنه لم يكن يعرف نفسية الأمير منصور، ولم يعرف بالتالي التعامل مع الموقف.

وما دام ابن عرار لم يفعل مما قلناه شيئًا، فدلل على قصر نظره، وجله بالحروب، وعدم معرفته بأقدار الرجال وإمكاناتهم ومقدراتهم. بمعنى أنه لم يكن يحسن التعامل مع الواقع. ولا يحسن كذلك ترتيب أوراقه لتوظيف الأحداث لصالحه. وكان عليه أن يرفع شعار المتمكن الذي خبر الأمور، ووزنها بميزانها. وهل يفل الحديد إلا الحديد؟ وهل ينتصر إلا الصبور؟ وهل يفوز إلا الجسور؟ وأليس النصر صبر ساعة؟ وما دام يزيد لا يدري من هذا شيئًا وواجه الأمور بلا استعداد، وظن أن الأمر هزل، لقي النتيجة المحتمة، وفقد حياته ثمنا لجهله.(١١٧)

منصور بن جمهور واليا على السند

إن منطق الأشياء يقول إن الأمير منصور، أصبح الوالي الحقيقي بالقوة على السند، فاضطر مروان بن محمد على السكوت، لأنه كان يواجه الأزمات الواحدة تلو الأخرى، وكلها مدمرة، فكان إقليم السند آخر ما يفكر فيه، الأمر الذي كان في صالح الأمير منصور،

---

(١١٧) الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص ص٢٤٩ـ٢٥٠.

وأعطاه الفرصة لينظم شؤون الإقليم، فلجأ إلى إحكام قبضته على مدن الإقليم وجهاته، وأرسل أخاه منظورًا إلى الجهات الغربية فأخضعها مدينة مدينة ما بين قندابيل والديبل.(١١٨)

ومن يتمعن في الأمر يدرك، أن الأمير منصور، أراد أن ينظم السند، فقسمه إلى إقليمين كبيرين، الغربي ويديره أخوه منظور، بينما هو يدير الإقليم الشرقي وداخل السند، واهتم بإعداد جيش قوي، وعيّن على النواحي من ينظم أمورها، وفرض سيطرته، رغم أنف مروان القابع في الشام، يعالج أمور الدولة التي اتسعت مشكلاتها.(١١٩)

ولما قامت الدولة العباسية عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م، ونظرًا لظروفها في بداية الأمر، اضطر الخليفة عبدالله السفاح إلى الاعتراف بولاية الأمير منصور على السند لا حبًّا فيه ورضىً عنه، بل من ضروب الحنكة السياسية، وكسب الأعوان.(١٢٠)

وتشير المصادر والمراجع إلى أن أبا مسلم الخراساني، بعد قيام الخلافة العباسية، وبصفته صاحب فضل ووال للجهات الشرقية من الدولة، أرسل المغلس العبدي، عام ١٣٢هـ/ ٧٥٠م واليا على السند، بدلا من منصور بن جمهور، الوالي الأموي الثائر.(١٢١)

---

(١١٨) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠؛ الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص ص٢٤٩-٢٥٠.

(١١٩) الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص ص٢٤٩-٢٥٠؛ الحميري، *الروض المعطار في خبر الأقطار*، طـ٢، تحقيق إحسان عباس (بيروت: مكتبة لبنان، مطابع هيدلبرج، ١٩٨٤م)، ص ص٥٤٩-٥٥٠.

(١٢٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٤٥٨، ٤٦٠، ٤٦٥؛ فاروق عمر، *العباسيون الأوائل*، طـ٢ (بغداد: طبع بمساعدة جامعة بغداد، مطبعة الجامعة، ١٩٧٧م)، ص ص٤٦، ٤٧، ويقول شارك منصور بن جمهور في أحداث الثورة العباسية، وأن السفاح عينه واليًا على السند. ونحن نقول إن مساعدته كانت أحيانًا بطريق غير مباشر، وذلك بإضعافه من قوة مروان بن محمد وإثارة عرب خراسان اليمنيين ضده.

(١٢١) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠؛ الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص٢٥٢؛ عمر، *العباسيون الأوائل*، ص ص٤٦، ٤٧؛ مصطفى، *دولة بني العباس*، جـ١، ص ص ٢٣٣، ٢٤٧، وذكر أن الخليفة عبدالله السفاح وأبا مسلم الخراساني لم يكونا على وفاق بالنسبة لوالي السند، ففي حين أرسل السفاح بالولاية إلى منصور بن جمهور الذي ثار على الأمويين، نرى أن أبا مسلم يرسل بالمغلس العبدي واليا.

سار المغلس حتى وصل إلى الديبل، وكان منصور واعيا لكل الأمور، فلما عرف بمقدم المغلس تصدى له، وذلك أن أمر أخاه منظورًا أن يشتبك معه. وكان على الديبل، فجرت معركة قاسية، أسفرت عن هزيمة منظور وقتله.(١٢٢)

إن هذا النصر قد شجع المغلس، ودفع به إلى مواصلة سيره، قبل أن يلتقط أنفاسه إلى المنصورة حيث يقيم الأمير منصور، للإطاحة به إلا أن منصورا كان قد حشد طاقاته دفاعًا عن المنصورة، بل عن وجوده الشخصي، وخرج من المنصورة قبل أن يحاصرها مغلس، ونازله في معركة شرسة، كانت نتيجتها في صالح الأمير منصور، الذي حقق النصر، وأسر مغلسا وتخلص منه بسرعة وقتله، وشتت شمل قواته.(١٢٣)

ولا نغالي إذا قلنا إن فقدان الخلافة لواليها المعين، وعدم تمكنه من التأثير على الأمير منصور، قد أقنع الخلافة ورجالها بعقم مضايقة الأمير منصور، بل الواجب يقتضي أن يهادن، ويعترف به واليا على إقليم السند.

مقتل منصور بن جمهور عام ١٣٤هـ/ ٧٥٢م

كان الاعتراف بولاية منصور بن جمهور على السند اعترافًا بالأمر الواقع، ولم يكن عن اقتناع به، بل محاولة لكسبه، حتى تحين الفرصة المناسبة للخلاص منه. فلما حانت الفرصة عام ١٣٤هـ/ ٧٥٢م، أرسل الخليفة عبدالله السفاح موسى بن كعب التميمي بجيش قوامه عشرون ألف مقاتل، بعد أن رصدت له كل مقومات النصر. وكان موسى بن كعب رجلا عسكريًا وسياسيًا مجربًا وتمتع بقدرة فائقة على تحقيق النصر.(١٢٤)

---

(١٢٢) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠؛ الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٣١٤؛ الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص٢٥٢؛ قدامة بن جعفر، *الخراج*، ص٤٢٣؛ الدينوري، *الأخبار الطوال*، ص٣٧٧.

(١٢٣) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٤٠: ابن خياط، *تاريخه*، ص٤١٣؛ عمر، *العباسيون الأوائل*، ص٤٧؛ البلاذري، *فتوح البلدان*، ص٤٣٠.

(١٢٤) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٥٨؛ الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص٢٥٣؛ عمر، *العباسيون الأوائل*، ص٤٧.

سار موسى بن كعب التميمي بجيشه متجها إلى السند، ولكنه لما وصلها لم يتوجه رأسًا إلى المنصورة حيث يقيم منصور بن جمهور، بل توجه نحو قندابيل، ليستريح ويرتب أموره، ويطلع على ميدان المعركة المقبلة معه عن كثب ويجمع معلومات عسكرية وافية عنه. ويحاول أن يتصل بأمراء القبائل الموالية له في محاولة لكسب ودها واتخاذها سندًا له في منازلته.(١٢٥)

قام موسى بالاتصال بأمراء القبائل الموالية لمنصور بن جمهور، وأغراهم بالأموال والمكاسب، وتوصل معهم إلى اتفاق وعدوا بموجبه بالانضمام إلى صفوفه وقت المعركة. وأكد لهم أن الدولة مصممة على إخضاع منصور مهما كلفها من جهد، إذن فما عليهم إلا الانضمام إلى صفوفه والتنكر لمنصور كي يجدوا لهم مراكز في ظل الدولة الجديدة.

وبعد أن اطمأن موسى بن كعب إلى وضعه العسكري في جهات قندابيل تقدم نحو المنصورة، وعبر نهر السند إلى الضفة الشرقية، ليكون أكثر قدرة على التحرك أمام المنصورة. وكان منصور قد خرج إليه واشتبك معه في معركة حماسية ومصيرية استعمل كل طرف ما عنده من قدرات وإمكانات وأساليب قتالية، إلا أن المعركة سرعان ما انجلت عن فوز ساحق لموسى، وتمكن من هزيمة منصور الذي تقهقر إلى الخلف أمام هجماته الشرسة، وفر هاربًا إلى الهند، ولكنه ضل طريقه في الصحراء، فمات عطشا، وقيل غير هذا، من أن قوات موسى تعقبته وألقت القبض عليه، وقتلته عام **١٣٤هـ/٧٥٢م**.(١٢٦)

ولما عرف نائب الأمير منصور بما حل به، وكان في المنصورة، أصابه الذعر والهلع والرعب، وفر هاربًا بأهله ونسائه وأمواله إلى جهات الخزر. وهكذا أصبحت المنصورة مشرعة الأبواب أمام موسى بن كعب، فدخلها مطمئنا، وتفرغ لتنظيم إدارتها وعيّن الولاة على النواحي السندية، وجدّد مباني المدينة كوالٍ عباسي.(١٢٧)

---

(١٢٥) اليعقوبي، *تاريخه*، جـ٢، ص٣٥٨.

(١٢٦) البلاذري، *فتوح البلدان*، ص٤٣١؛ ابن خياط، *تاريخه*، ص٤١٣، وذكر أن منصورًا قتل في ٢٨ رمضان ١٣٦هـ مخالفًا غيره؛ قدامة بن جعفر، *الخراج*، ص٤٢٣؛ الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص٤٦٤؛ ابن حزم، *جمهرة أنساب العرب*، ص ٤٥٨؛ ابن العماد الحنبلي، *شذرات الذهب في أخبار من ذهب* (بيروت: لجنة التراث بدار الآفاق الجديدة، د.ت.)، جـ١، ص١٩٢.

(١٢٧) الطرازي، *موسوعة التاريخ*، جـ١، ص٢٥٤؛ مصطفى، *دولة بني العباس*، جـ١، ص٣٣٤.

ولنا أن نتساءل هنا: لماذا سلم منصور بالهزيمة هكذا، مع أننا لا نعهد به أن تصرف مثل هذا التصرف من قبل؟

وللجواب نقول إن منصورا رجل محارب وأمير مجرب، خبر الحرب، وأتقن السياسة، فلو كان يملك الإمكانات لما استسلم بهذه الصورة، بعد معركة واحدة، وبخاصة وأنه رأى موسى وقد تمكن من شراء ذمم أمراء القبائل الذين تراخوا في قتالهم لموسى. فرأى أن الأمور مدبرة ولا بد من الاعتراف بالأمر الواقع والنجاة بنفسه إلى موقع آخر أكثر أمنا ليواصل منه مقاومة الوجود العباسي الجديد الذي أعلن عداءه له، إلا أن القدر كان له بالمرصاد، وختم حياته شريدًا ضالا في صحراء، لا يعرف كيف يواصل الحياة ففقدها.

شخصية منصور بن جمهور

وبعد، فتتضح لنا معالم شخصية الأمير منصور الطموحة، والقلقة، والساعية إلى الاستقرار في ولاية من الولايات، فمنصور كأمير من أمراء بني كلب، كان بدويًّا يتمتع بعلو النفس والأنفة والكبرياء والشموخ. فأسهم مع الخليفة يزيد بن الوليد، في الخلاص من الخليفة الوليد بن يزيد.(١٢٨) ولم تكن مساندته ليزيد حبًّا فيه، بمقدار ما كانت غيرة لمقتل خالد بن عبدالله القسري اليمني مثله. ولأن يزيد يمثل شخصية ذات فكر قدري يحمله(١٢٩) الأمير منصور نفسه. وقد رضي منصور كل الرضى عن يزيد بن الوليد، لأنه مال إلى جانب اليمنيين، وبخاصة في الشام، وسانده مساندة فعلية، وكان سروره أكثر عندما أرسله واليًا على العراق. ثم سلك مسلكا متوازنا مع الخلافة، ولم يؤثر عليه قرار العزل عن ولاية العراق، وظل نعم العون ليزيد بن الوليد ولأخيه إبراهيم فيما بعد.(١٣٠)

---

(١٢٨) ابن دريد، *الاشتقاق*، ص٥٤١؛ أبو محمد أحمد بن أعثم الكوفي، *كتاب الفتوح*، ط١ (حيدر آباد: دائرة المعارف العثمانية، ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، جـ٨، ص١٤٠.

(١٢٩) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٤، ص٢٥٧؛ طلس، *تاريخ العرب*، م١، جـ٤، ص١٦٧؛ عطوان، *الوليد بن يزيد*، ص٤٣٩.

(١٣٠) الطبري، *تاريخ الأمم*، جـ٧، ص ص٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧؛ ابن كثير، *البداية والنهاية*، جـ١٠، ص١٤.

ولما أعلن مروان بن محمد ثورته على الخليفة المستضعف إبراهيم بن الوليد، وقضى على خلافته، وتنكر لليمنية وبخاصة في الشام، واضطهد المعتزلة والقدرية وألحق بهم جملة من الأضرار، وناصر المضرية وقدم لهم العون. هب الأمير منصور مدافعًا عنهم، وانحاز إلى جانب أعداء مروان، فانضم إلى والي العراق عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز، الذي عارض مروان ورفض الاعتراف بالوالي الجديد على العراق، النضر بن سعيد الحرشي، وقاومه بل انحاز إلى جانب الخوارج وأقنع عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز برأيه والتفت مصالحه مع مصالح الخوارج ضد مروان بن محمد الخليفة الأموي الأخير،(١٣١) الذي ناصر أعداءه المضرية.

وظل الأمير منصور بن جمهور يناصر أعداء الخلافة أيام مروان، فانضم إلى قوة الطالبيين الممثلة بحركة عبدالله بن معاوية الجعفري ليؤثر بشكل أو بآخر على مروان مضطهد اليمنيين، والمنحاز إلى جانب المضريين. ولم تفد منصور أعماله ضد مروان شيئًا لأنه تمكن آخر الأمر من القضاء على كل الخارجين على إرادته. فهرب الأمير منصور إلى بلاد السند عله يجد له أنصارًا يقاوم بواسطتهم الوجود الأموي.

واستمر الأمير منصور في عدائه لبني أمية ولولاتهم في السند وبخاصة قريبه يزيد بن عرار، الذي تضاربت مصالحه مع مصالحه. فقتله وفرض وجوده على مسرح الأحداث السندية كوال للأمويين، لمروان رغم أنفه. وحاول أن يسلك السلوك نفسه مع بني العباس، إلا أنه أخفق آخر الأمر وفقد حياته.

وبعد، فمن خلال ما عرضناه، ألا يحق لنا أن ندعو منصور بن جمهور «بالأمير الثائر، والوالي القتيل»؟ ثم ألا يحق لنا أن نخص منصورًا ببحث كهذا يلقي الضوء على مواقفه إن سلبا وإن إيجابا؟ فإن قمنا بهذا، فهو قصدنا، وإن توصلنا إليه فهو هدفنا، وإلا ففي ما قدمناه فائدة! وإني على ثقة من أننا فعلنا.

---

(١٣١) عطوان، *الوليد بن يزيد*، ص٤٣٩، وذكر أن منصور بن جمهور كان يكره القسيسين وخلفاء بني أمية الذين يميلون إليهم كمروان بن محمد كرها شديدًا، ففضل منصور الخضوع للخوارج على الخضوع لمروان بن محمد بعد أن أصبح مروان خليفة.

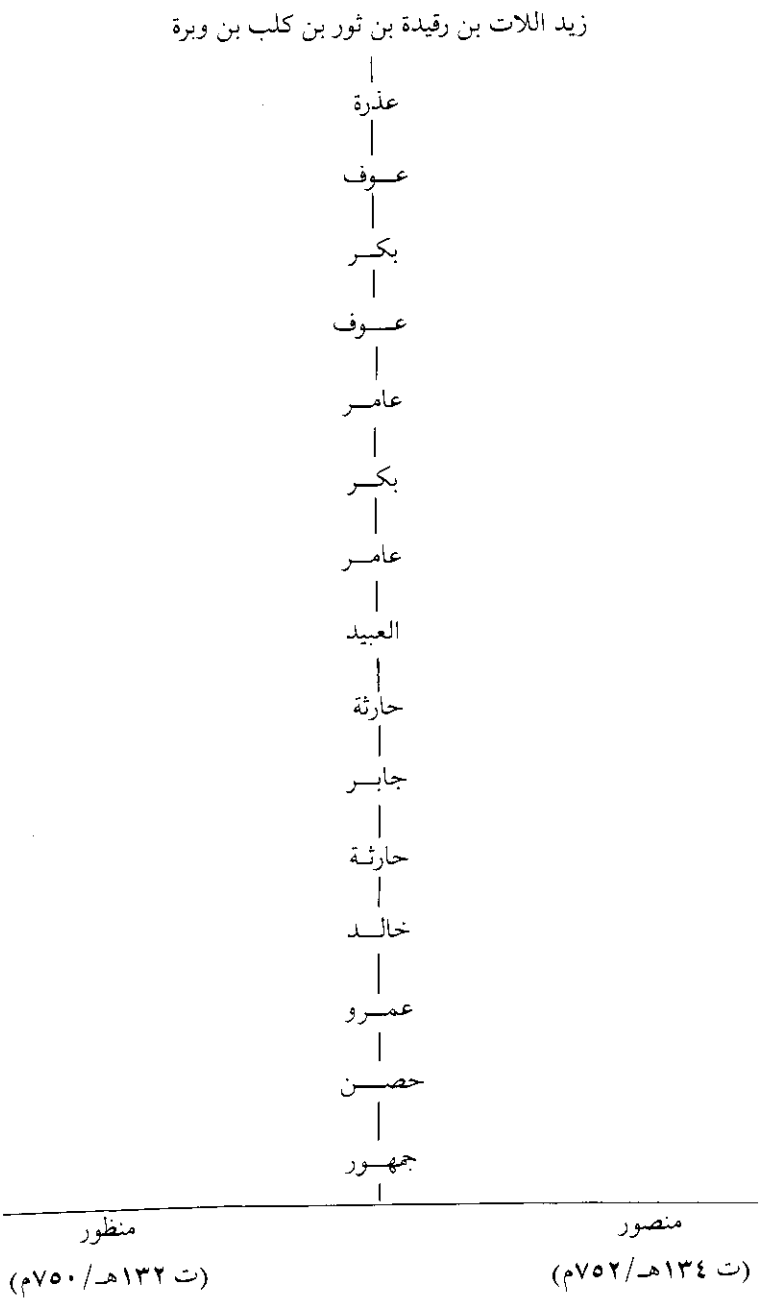

نسب منصور بن جمهور

Mansour b. Jumhour: His Attitude towards Political Events at the End of the Umayyad Period

Sadiq Ahmad Dawoud Joudeh
Associate Professor, Department of Social Sciences,
Faculty of Arts and Sciences, Amman National University,
Amman, Jordan

Abstract. This study deals with the position of a prince descended from Yamani Arabs, who lived towards the final days of the Umayyad caliphate and witnessed the upheavals that eventually led to its collapse and the rise of the Abbasid caliphate. He was prince Mansour b. Jamhour Al-Kalbi, who left a clear impact on the events at that time.

His role became conspicuous during the checkered caliphate of Al-Waleed b. Yazeed b. Abdul Malik (A.H. 125-126/744). Eager to make some personal gains, Mansour joined the forces of the Umayyad prince Yazeed b. Waleed b. Abdul-Malik, who had led a rebellion againt his cousin Al-Waleed b. Yazeed.

Mansour successfully conducted his part in the rebellion, which led to the killing of Al-Waleed and the end of his caliphate. When Yazeed b. Al-Waleed became caliph, he rewarded Mansour for his services by appointing him governor of Iraq. Mansour remained loyal to Yazeed (A.H. 126/744) and his brother Ibrahim (A.H. 126/745) until Marwan b. Muhammad became the last Umayyad caliph (A.H. 127-132/745-750). Hoping to make some personal gains, Mansour joined the rebellious forces against Marwan. Ultimately, he went to Sind and became its governor until he was killed in A.H. 134/752.